

المجلة

مجلة البحوث العلمية والفنية

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها السنول
أحمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — مابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

برل الاشتراك هي سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

نمن العدد ٢٠ ملياً

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٧٧٥ « القاهرة في يوم الاثنين أول رجب سنة ١٣٦٧ — ١٠ مايو سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

في مذاهب الأدب

للأستاذ عباس محمود العقاد

يرجع إلى أن الصورة التي في ذهني عن الأدب الرمزي قد تغاير
تلك الصورة التي في ذهن العقاد عنه .

وهكذا أفاد تمثيل الأستاذ فريد للأدب الرمزي المقبول عنده
في التقريب — بل في التوحيد — بين القولين .

فشكل هذه الروايات التي تعجب الأستاذ تعجبي ، وترتقي
عندي إلى المرتبة الأولى في فن المسرح والرواية .

واسكني لا أحسبها من أدب « المذهب الرمزي » الذي تكثر
الدعوة إليه بين الفرنسيين خاصة في هذه السنوات الأخيرة ، لأنها
لا تسمى ولا تعتمد التلبس ، واسكنها من أصرح ما يقرأه القارئون
وإذا توسعنا في التعبير فهي عندي من الرمز السائح وليست
من الرمز المنوع .

لأنني — حين أجبت عن ذلك السؤال — عنيت الرمز الذي
يلجأ إليه الكاتب عمداً وله مندوحة من الإفصاح ، أو عنيت
الرمز الذي يهرب من النور وليست له معذرة في الحرب منه .
أما الرمز على إطلاقه فليس هو بممنوع ولا مستحسن ، وقد
بيئت أنواعه في مقال بمجلة الكتاب نشر في أول السنة الماضية
فقلت فيه بمنوان « مسوغات الرمزية » .

« إن التعبير بالرموز عادة قديمة في تعبير الإنسان ، بل عادة
قديمة في بديهة الإنسان . فالخالم مثلاً يعبر في منامه عن شعور
الضيق أو الخوف بقصة رمزية .. والكاتب الذي لم يعرف الحروف
الأيجدية يرمز إلى الماني بالشخص والرسوم . وكهان البيانات
رمزون وبمعدون كثيراً إلى الكائنات والألفاظ ... والناسك

قد بنى التمثيل حيث لا ينبغي الدليل ، ولا سيما في تلك
المسائل التي تنفق فيها الآراء ولا يقع الخلاف عليها في الحقيقة
إلا لاختلاف الأسماء .

ومن هذا القبيل مسألة الحكم على المذهب الرمزي بيني وبين
الكاتب الألمي الأستاذ فريد بك أبو حديد .

فقد سألت مندوب « الزمان » عن هذا المذهب فقلت له :
إن كلمة الأدب الرمزي كلمة سقيمة ؛ لأن الأدب قبل كل شيء
إفصاح ، فن يجوز عن الإفصاح فأولى أن يترك الأدب . ومن كان
لا يتكلم إلا بالرموز فخير له أن يخترع له لغة أخرى غير هذه
التي تواضع الناس على التفاهم بها . وليخترع إن استطاع نوعاً
من الميرغليزية القديمة تنفي فيها الصور والإشارات عن الحروف
والكلمات .

ووجه المندوب هذا السؤال إلى زميلنا الأستاذ أبي حديد بك
فقال : « لا أوافق الأستاذ العقاد فيما ذهب إليه بخصوص الأدب
الرمزي ؛ فإن كان هذا الأخير من نوع بيجامايون لبرناردشو ،
وأهل الكهف لتوفيق الحكيم ، وتاييس لأنانول فرانس ، فانه يمد
من أسمى أنواع الأدب . ولعل اختلاف الرأي بين العقاد وبين

علم النفس عن غير فهم ولا تمييز بين ما هو حديث في الكشف
الملمية وما هو حديث في طبيعة الإنسان .

إن الكلام الحديث عن طبيعة العقل كالكلام الحديث عن
طبيعة النظر أو حقائق النور والإضاءة ، ونحن لا نغير نظارنا إلى
الأشياء لأننا عرفنا عن دقائق الدين ما لم نكن نعرف ، وكذلك
لا نغير شعورتنا بالدنيا لأننا علمنا النفس أطلقوا على الملكات
النفسية فينا أسماء لم يعرفها الأقدمون .

ولكن هذه الطائفة التي تسمى نفسها بالمدرسة الرمزية نظن
أننا قد خلقنا خلقاً جديداً بعد ظهور تلك المصطلحات على الألسنة
فتلغى ما كان من تفكير وتعبير لغير سبب ، وتعمد أساليب
التممية لأنها سمعت أن الوعي الباطن غير الوعي الظاهر ، وهما في
الحقيقة قد كانا كذلك منذ أول الزمان .

فليكن في الأدب « رامزون » ، لأن الرمز أقرب إلى
التوضيح والتأثير .

أما الرمز الذي تظاهر له الحقائق فيضع يديه على عينيه لكي
لا يراها ، فهو لا يربط شيئاً قط يستحق أن نراه .

رقد سألني مندوب الزمان أيضاً عن كلية الآداب ، فقلت له
إن هذه الكلية لم تخرج أديباً واحداً منذ نشأت ، وأن الشبان
الذين نبضوا منها في الأدب قد نبضوا بجهدهم وملكاتهم على الرغم
من سوء التعليم هناك ، وقيامها في الغالب على قواعد الانتفاع
وحب الظهور .

وسئل الأستاذ أبو حديد فقال : « أواقفه بتخلف . وهذا
التخلف يرجع إلى أن الجامعة المصرية وليدة ربع قرن فلا تنتظر
منها بعد ما تنتظره في ربع قرن آخر ، وأمل أن تكون النتيجة
طيبة » .

ولست أريد أن أخالف الأستاذ في هذا التخلف إلا بما يرضيه
وبرضى الحقيقة .

فالأستاذ أبو حديد من خريجي مدرسة الملمين المليا ، وهذه
المدرسة قد أنشئت لتخريج الملمين ولم تنشأ خاصة لتخريج الأدياء .
ولكنها — مع هذا — لم تنقض عليها سنوات حتى أخرجت
للعربية أدياء من طراز محمد السباعي وعبد الرحمن شكرى وإبراهيم

المصوفون رمزون لأنهم لا يستوضحون الماعى الغامضة التي نجيش
بها نفوسهم في حالة كحالة الغيبوبة ... وكان بعض الدول يقهر
الرعية على عقيدة لا يدينون بها وقد يدينون بغيرها ، فيشيرون
إلى عقائدهم برموز يفهمونها ... وقد يكون الرمز اختصاراً لمباراة
مفهومة أو صورة ظاهرة ... فالرمز شيء مألوف في تعبير الإنسان
وفي طبيعة الإنسان ، ولكنه مألوف على حالة واحدة لا يخلو منها
مرض الرمز والكناية ، وهى حالة الاضطراب والعجز عن
الإفصاح ... فإذا لوحظت هذه الحالة فالرمز أسلوب متفق عليه
لا يحتاج إلى مدرسة تنبه الأذهان إليه . فالغالب لا يستشير مدرسة
من المدارس لتشير عليه أن يحلم بالصور والتشبيهات ... والشاعر
لا يباب إذا مثل لنا السكواكب والأزهار بألبسها ثياب الأحياء .
ومن شاق به اللفظ فعمد إلى التخيل والتشبيه فالتناس لا يحسبونه
من هذه المدرسة أو تلك ؛ لأن المدرسة التي يصدر عنها في هذه
الحالة هى مدرسة البديهة الإنسانية حيث كان الإنسان .

هذه الرموز الطبيعية هى الرموز التي نوجب بها كما يعجب
بها الأستاذ فريد .

أما الرموز التي وصفناها بالسخف فهى تلك الرموز الملققة
في غير حاجة ولغير علة ، إلا ذلك الهراء الذي يتحدثون فيه عن
« اللاوعى » ... و « اللاشعور » ، ويقولون إنهم يعبرون به عما
لا يعيه العقل ولا يحيط به الحس الظاهر ، وهى جهالة منهم
يسوقهم إليها أن الكلام عن « اللاوعى » وعن « اللاشعور »
شيء جديد ، وكأنهم يحسبون أن الإنسان قد خلق مجرداً من
هذا « الوعي الباطن » أو هذا الشعور الذى لا يمس نفسه قبل أن
يتكلم عنه النفسانيون المعاصرون .

والواقع أن « اللاوعى » قديم في الإنسان ، وأنه قد صدر
عنه في تخيله وتفكيره قبل أن نطلق عليه هذه الأسماء ، وإذا
كان المعاصرون قد كشفوه أو أطلقوا عليه الأسماء فذلك ادعى
إلى كشفه وتوضيحه ، لا إلى طغيانه على العقل والحس والنماء
هذا وذلك كأنهما معطلان في تعبير الإنسان وتفكيره ، عاجزان
عن الإبانة والأداء .

فالتممية المصودة لغير علة هى الرمزية السخيفة التي ننكرها
ولا نسيها ، وهى وليدة التشديق بالابتدعات الحديثة في مذاهب

٢ - عبد الله بن سبأ

للدكتور جواد على

—♦♦♦—

وجاء في تاريخ الطبري : « كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء أمه سوداء »^(١). واكتفى في مواضع أخرى من تاريخه « ابن السوداء »^(٢) وفي العبارة الأولى شرح الكلمة « ابن السوداء » ويدل ما ذكره الطبري على أن أم عبد الله كانت سوداء اللون وأنها كانت قريبة من الزنوج أو من أصل زنجي قريب أو بعيد ، وأن أباه كان من اليمن وإن كنا لا نعرف اسمه كما لا نعرف اسم أمه ، وأنه كان يهودياً إلى أيام عثمان . وفي البيان والتبيين^(٣) حديث جاء في بعض فقراته « فلقيني ابن السوداء وهو ابن حرب » ولست في شك من أنه

(١) الطبري ج ٥ ص ٩٨ (طبعة الطبعة الحينية) .

(٢) الطبري ج ٥ ص ٦٦ ومواضع أخرى .

(٣) البيان والتبيين ج ٣ ص ٦ ؛ طبعة السندوني القاهرة سنة ١٩٢٧

المازني ومحمد جلال وكامل سليم وأحمد زكي والعبادي وعوض محمد وفريد أبي حديد ومحمد بدران .

فالمسألة إذن مسألة البيئة والاستعداد لا مسألة الزمن الطويل أو القصير .

ولا فضل لمدرسة ننظرها خمسين سنة لتخرج لنا أديبا أو مجلة أدباء ؛ فإن تعليم المدرسة برنامج محدود السنوات ، وليست هي أمة تتولد فيها الأجيال وتحسب أطوارها بالمشرات من السنين . وإذا تم برنامج بعد برنامج ولم نشمر لتقائه بآثر في النهضة الأدبية فذلك هو الإفلاس بعينه ، أو ذلك هو الدليل على أن الأديب الذي يخرج لنا نصف قرن من الزمان هو وليد الأمة في تطورها وليس وليد المدرسة التي كان ينبغي أن تعطيه ثمرتها في بعض سنوات .

حقق الله أمل الأستاذ في النتيجة الطيبة ، ولكن قبل

خمس وعشرين سنة إن شاء الله .

عباس محمود العقاد

يقصد « ابن السوداء » عبد الله بن سبأ الذي يتحدث عنه أصحاب كتب الفرق ، لأن المقالة المدونة إلى هذا الرجل هي نفس المقالة التي ينسبها الرواة الآخرون إلى عبد الله بن سبأ ، كما يذكر مؤرخون ورواة أن « ابن سبأ » هو « ابن السوداء » فهل عرف الجاحظ ذلك ، أم أنه قصد شخصا آخر ؟ على كل حال فالهم في الرواية أنه نص على اسم والد « ابن السوداء » فدناه « حربا » ولكن أي « حرب » هو ؟ فهناك مشات من الأشخاص عرفوا بحرب . ثم من كان والد حرب ؟ ومن أي قبيلة كان ؟ ذلك ما لم يتحدث عنه الجاحظ ولا غير الجاحظ من الكتاب أو الرواة أو المؤرخين . وقد فرق بعض الرواة بين « عبد الله بن السوداء » و « عبد الله بن سبأ » فجعلوا كل واحد منهما شخصا ، ومن هؤلاء ابن عبد ربه ، والبغدادى ، ومن أخذ عنه مثل الاسفرائيني . ويعتقد المستشرق « إسرائيل فريد لندر » أن هذا التفريق الذي جاء في كتاب « البغدادى » سببه الرواية المدونة إلى الشعبي ونصها : « وقد ذكر الشعبي أن عبد الله ابن السوداء كان يمين على قولها . وكان ابن السوداء في الأصل يهوديا من أهل الحيرة فأظهر الإسلام وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سرق ورياسة فذكر لهم أنه وجد في التوراة أن لكل نبي رسيا^(١) إلى آخر الرواية ، وكان قد ذكر قبل ذلك اسم « عبد الله بن سبأ » بنحدر هذا الاختلاف ولكنه كان يقصد في الواقع شخصا واحدا لا شخصين^(٢) .

ويظهر مثل هذا الاختلاف ولكن بصورة أخرى في موضع من كتاب « المقصد الفريد » للفقير أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي المتوفى سنة ٣٢٨ للهجرة . في الموضع الذي ذكر فيه رواية مفصلة للشعبي عن « الرافضة » - وأكثر الروايات التي تتعرض لبحث الرافضة هي من روايات الشعبي - جاء فيها « وقد حرقتهم على بن أبي طالب رضى الله عنه بالنار ، ونفاهم إلى المدائن : منهم عبد الله بن سبأ ، نفاه إلى ساباط ، وعبد الله ابن السبب ، نفاه إلى الحاذر ، وابن كروتس » . فذكر الشعبي في رواياته هذه اسم شخصين : « عبد الله بن سبأ »

(١) الفرق بين الفرق في بحث الشيعة والعلة . ص ٢٢٣

(٢) Isrdol Frica LAnder . sepe . 2 . a 28

(٢)

كما استبدل السيد سعيد العربي محقق « المقدم الفريد »
« بمبد الله بن السباب » عبد الله بن السوداء . ومعنى هذا أن
عبد الله بن السوداء شخص آخر غير عبد الله بن سبأ كما جاء
ذلك لدى البغدادي . واعتقد أنه لا داعي إلى هذا التبديل فلعل
« ابن السباب » من « السبائية » وهي إحدى المصطلحات
القديمة التي كانت تطلق على الجماعة التي كانت تسمى قسماً من
الصحابية . وعلى كل فنحن لا نعرف أى شيء عن هذا الشخص
الذى سماه الرواة « عبد الله بن السباب » ولا عن الشخص الآخر
الذى سماه صاحب المقدم الفريد « ابن كروتس » (١)

ويذهب أكثر الرواة إلى أن « عبد الله بن سبأ » هو من
أهل اليمن . وقال بعضهم أنه من حمير ؛ ولذلك قيل له « الحميري » (٢)
وقد عرف « كتب الأخبار » وهو يهودى مسلم بالحميرى كذلك ؛
غير أننا لا نستطيع أن نقطع بأنه كان من حمير أى من صميم
« حمير » فيجوز أن يكون من المنتسبين إليها بالولاء . وهناك
رجل آخر له شهرة في التاريخ قيل عنه أيضاً إنه كان يهودياً
أو من أصل يهودى ، هو « وهب بن منبه » ثم أسلم وأسلم أهله .
وقد ميز عن صاحبيه بلقب هو « الأبنوى » ويعنى هذا اللقب
أنه كان من « الأبناء » أى من أبناء جنود الفرس الذين كانوا قد
جاءوا إلى اليمن قبل الإسلام طرد الأقباش . وزعم الطبرى في
تاريخه أنه كان من أهل صنعاء (٣) أما الشعبي فقد ذهب إلى أن
عبد الله بن السوداء كان من أهل الحيرة . ونحن لا نستطيع
رفض رواية الطبرى كما لا نستطيع قبولها . ولا نستطيع أيضاً
تصديق رواية الشعبي ولا نكذبها . حتى أننا إذا ما أخذنا
بالرواية الثانية فإنها لا تتعارض مع الرواية الأولى إذ يجوز أن
يكون من أصل يمانى هاجر إلى الحيرة في العراق (٤) . كما أن
من الجائز أن يكون اسم « سبأ » هو الذى أوحى إلى الرواة بهذه
القصة قصة موطن « عبد الله » وانتسابه إلى اليمن ومن اليمن
في صنعاء .

وأستطيع أن أقول وأؤكد أن اشتهاً « عبد الله »

و « عبد الله بن السباب » والذى يطالع هذا الموضع يتصور أنه
الثانى من زعماء الغلاة في حب على بن أبى طالب ، وأنه كان من
حزب عبد الله بن سبأ ، وأن اسم والده هو السباب .
ولكن إذا ما درسنا كتب الفرق وجدنا أنها تسمى أتباع
عبد الله بن سبأ « السبائية » كما تسميهم « السبائية » في ذات
الوقت . جاء في كتاب البغدادي « الفرق بين الفرق » « الفصل
الأول من فصول هذا الباب ، في ذكر قول السبائية ، وبين
خروجها عن ملة الإسلام . السبائية أتباع عبد الله بن سبأ الخ » (١)
وقد تكرر ورود هذه التسمية في كتب أخرى . وأرى أنها لم
تأت عن اشتباه أو عن خطأ في الكتابة ، بل جاءت من سببهم
الخلقاء . وقد ظهر السبب بينهم على ما يظهر قبل أيام عثمان . ولما جاء
الإمام إلى العراق أنكر عليهم ذلك . وظلت فرقة منهم ماضية في
سبها ، كما سب الخوارج سائر الصحابة عن اشتراك في الحوادث
السياسية منذ عهد عثمان فما بعد . والظاهر أن القدماء كانوا
يطلقون على تلك الجماعة « السبائية » وعلى الواحد منهم « السبابي »
نسبة إليهم تمييزاً لهم عن الفرق الأخرى التي ظهرت بعد وفاة
الرسول ، كالذى رواه أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى
المتوفى سنة ٢٧٦ للهجرة في كتابه « عيون الأخبار » عن المغيرة
من أنه كان « سبائياً » وأنه كان من الغلاة (٢)

وكان « المغيرة » وهو المغيرة بن سعد مولى لبيبة من
السبائيين . وقد أسلح جماعة من المحققين والناسخين المخطوطات
القديمة واستبدلوا « بالسبائية » السبائية و « بسبابي » سبائي
اشيوع « السبائية » ومنهاتها . ورد في النسخة الخطية « لعميرون
الأخبار » « وأما المغيرة فكان مولى لبيبة وكان سبائياً وصاحب
نير نجات » فاستبدل محقق هذا الكتاب بكلمة « سبائياً » كلمة
« سبائياً » أى من السبائية « أتباع عبد الله بن سبأ » وقد اعتمد في
ترجيحه هذه الكلمة على ما جاء في مفاتيح العلوم للخوارزمي (٣)
وعلى ما جاء في المقدم الفريد (٤) وفي القاموس (٥)

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٢٣

(٢) عيون الأخبار ج ٢ ص ١٤٩ طبعة دار الكتب المصرية

بالقاهرة سنة ١٩٢٨

(٣) مفاتيح العلوم ص ٢١ طبعة أوربا

(٤) المقدم الفريد ج ١ ص ٢٦٧

(٥) عيون الأخبار ج ٢ ص ١٤٩ ، القاموس مادة سبأ .

(١) المقدم الفريد ج ٢ ص ٢٤١

(٢) ابن خزم .

Shiiteo I, 37

Friedländer, S ' 22 .

(٣)

(٤) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٢٣

أحد أقتله أو سجنه على هذه المقالات التي كان يظهرها وهو في صورة مسلم يدين بالإسلام .

ذكر الطبري أنه لما مضى من إمارة ابن عامر ثلاث سنين بلغه أن في عبد القيس رجلاً نازلاً على حكمين بن جبلة ، وكان حكمين ابن جبلة لصاً ، إذا قتل الجيوش خنس عنهم فسمي في أرض فارس فينير على أهل الذمة ويتنكر لهم ويفسد في الأرض ويصيب ما شاء ثم يرجع . فشكاه أهل الذمة وأهل القبلة إلى عثمان فكتب إلى عبد الله بن عامر أن احبسه . ومن كان مثله فلا يخرج من البصرة حتى تانسوا منه رشداً . فحبسه ، فكان لا يستطيع أن يخرج منها . فلما قدم ابن السوداء نزل عليه واجتمع إليه تفرط طرح لهم ابن السوداء ولم يصرح . فقبلوا منه واستمظموه . وأرسل إليه ابن عامر فسأله ما أنت ؟ فأخبره أنه رجل من أهل الكتاب رغب في الإسلام ورغب في جوارك . فقال مايلغني ذلك ، أخرج عني . فخرج حتى أتى الكوفة فأخرج منها ، فاستقر بمصر وجعل يكتبهم ويكتبونه ويختلف الرجال بينهم ^(١)

والدعوى أن ولاية « عبد الله بن عامر » على البصرة ، بعد عزل أبي موسى الأشعري عنها ، إنما كانت في سنة تسع وعشرين للهجرة في عهد الخليفة عثمان بن عفان ^(٢) فيكون مجيء عبد الله بن سبأ إلى البصرة إذاً في سنة ٣٢-٣٣ للهجرة ، أي في السنة الثالثة من حكمه كما أخبر بذلك الطبري ...

مصادر على

(للبحت بنية)

(١) الطبري ٥٠ ص ٩٠

(٢) الطبري ٥٠ ص ٦٤

مبادئ المبادئ

دستور عملي للحياة المثالية السعيدة

مع الباعة ٨ مايو سنة ١٩٤٨

ويطلب من دار الكتب الأهلية بميدان الأوبرا بمصر

التمن خمسة قروش ساغ

بابن السوداء لم تكن شهرة تدمره ، كما لم تكن شهرة تدمر أنباءه إن كان له أتباع حقاً . وقد استعملت هذه الكلمة دوماً للتحقير والازدراء . وقد عبر بها « عمار بن عامر » حينما نجاسر وتطاول على الخليفة عثمان بن عفان فكان من جملة ما قاله الخليفة « وبلى على ابن السوداء ! لقد كنت به ملياً » ^(١) وقد عبر بها « المقداد ابن الأسود » فقليل له « يا ابن السوداء » ^(٢) . ولما غضب أبو ذر النضاري على كذب الأخبار قال له « يا ابن اليهودية » و « يا ابن السوداء » ^(٣) .

ويكاد يكون في حكم الإجماع بين الرواة الذين ذكروا خبر عبد الله بن سبأ أنه كان يهودياً . وقد أبد علماء الشيعة ذلك أيضاً مثل النوبختي والكشي والكليني المحدث الشيعي الشهير صاحب كتاب « الكافي » في أحاديثه عن الإمام الصادق في عبد الله بن سبأ ^(٤) . ويظهر من دراسات هذه الروايات أنها ترجع في الواقع إلى أوائل العصر العباسي وأواخر العصر الأموي . وقد كانت « سمناء » عاصمة اليمن في أيام الأحباش قاعدة مهمة لليهود . والظاهر أنهم أقاموا بها منذ مدة قبل غزو الأحباش لليمن . وأنهم ساروا يشعمرون بطمأنينة بال وراحة في هذه المدينة ، فربطوا حوادثها بالتوراة وقالوا إنها مدينة « أزال » « أوزال » التي ورد خبرها في الكتاب المقدس ^(٥) . فهل كان « عبد الله بن سبأ » أحد هؤلاء اليهود الذين حافظوا على ديانتهم إلى أيام الخليفة عثمان بن عفان حتى إذا أسلم تملكته حتى التنقل من مكان إلى مكان ومن قطر إلى قطر داعياً الناس إلى دعوات غريبة ، طمعاً في إثارة الفتنة وخلق الفوضى في صفوف المسلمين . فزار الحجاز وذهب إلى البصرة فالكوفة فالشام فمصر ، وانصل بكل هذه الأقطار عن طريق الرسالة حتى تمكن من تأجيج نار فتنة لم تخمد حتى اليوم ؟

والعجيب أن رجلاً كهذا الرجل لم يسجل الرواة حوادثه ولا أخباره ، ثم ينصاع له شيوخ من شيوخ المسلمين ، ولا يتقدم

(١) البغوي ٢٠ ص ١٤٧

(٢) البغوي ١٠ ص ١٨٧ طبعة Houtsma ٠ وس ١٩٨

(٣) Fridländer ' P ' 28

(٤) راجع الكافي في أحاديث الإمام الصادق . طبعة محمد عبد الرحيم

(٥) Hastings . P. 956 . Harris ' el — Yemea . P. 313

لا، لانك تحريم تعدد الزوجات

للأستاذ إبراهيم زكي الدين بدوي



كان صديقنا الأستاذ عبد التعال الصميدى يقرر في رده الأول علينا أننا « نملك تحريم تعدد الزوجات » ولكن بطريق مخالف لطريق معالي عبد العزيز فهمى باشا ، « وقد سلمك أولو الأمر حديثاً في نظائر تعدد الزوجات » ، وأشار إلى هذا الطريق بمثل هو « تحديد سن الزواج ونحوه مما جرى العمل الآن به ، وألفه الناس بعد أن تاروا عليه عند تشريعه » ؛ مما يفهم منه بوضوح أنه طريق التشريع الوضعي القائم على استعمال ولي الأمر ما له من سلطان على عماله مأذونين كانوا أو قضاء بمنعهم من تحرير وثائق رسمية لعقود الزواج المتضمنة للتعدد أو سماع الدعوى المترتبة على هذه العقود .

فلما بيناه — تفصيلاً على رده — أنه قد أخطأ القصد إلى التحريم بما أشار إليه من طريق سلبى لا تعلق له بحل ولا بحرمة ، وأن ما ينشأ بين الناس من علاقات شرعية في الأمور التي تناولها المشرع الوضعي بطريق المنع التقدم ، يعتبر صحيحاً شرعاً وقانوناً وتترتب عليه جميع الآثار المترتبة على سواء ، عدا تحرير الوثيقة وسماع الدعوى وهما الأثران المطلقان خلافاً لما هو النظر الصحيح في « قاعدة تخصيص القضاء » ، راج — في رده الثاني — بحجج مراده بأن لولى الأمر « أن ينهى عنه (تعدد الزوجات) إذا أساء المسلمون استعماله ، فيصير حراماً لهنه عنه ، وإن كان في ذاته مباحاً » كما ينهى عن زرع القطن في أكثر من ثلث الملاك « فيكون زرع القطن في أكثر من الثلث حراماً من هذه الناحية وإن كان في ذاته مباحاً ... هكذا يقول الأستاذ .

وظاهر مما تقدم أن معالم هذا الطريق الأخير تغاير المعالم التي أقامها للطريق الأول تمام المغايرة ، فذلك طريق ليس له سوابق في التشريع المصرى الحديث ولا القديم على الأقل فيما يتعلق بنظائر تعدد الزوجات التي مثل لها الأستاذ نفسه بتحديد سن الزواج ؛ فلا ينطبق عليه إذن القول بأنه « قد سلمك أولو الأمر

حديثاً في نظائر تعدد الزوجات » ، وبالتالي لم يالف الناس هذا الطريق ، فلا ينطبق عليه القول بأنه « مما جرى العمل الآن به وألفه الناس بعد أن تاروا عليه عند تشريعه » . كما أن ما ذكره الأستاذ نفسه في ختام رده الأخير من « أن الناس لم يتهيأوا بعد لفهم هذا الحق (حق ولي الأمر في التحريم) ؛ بل يمدوه خروجاً على الدين » يبين بجلاء أنه لم يكن الطريق الذى عناء في رده الأول ووصفه بأن تحريم تعدد الزوجات بواسطته « كان مطالباً سهلاً لا يحتاج إلى ما تكلفه (الباشا) في أمره » ، والذي تنطبق عليه هذه الأوصاف كلها إنما هو الطريق الذى فهمناه من رده الأول وأشرنا إليه فيما تقدم .

والظاهر أن الأستاذ قد استشر — قبل سواء — هذا التغاير الثام بين الطريقين وأنه لا يستلزم معه اعتبار ثانيهما تحريراً للمراد من الأول ، غاوى أن يمدد بينهما وشيجة قربى إذ قرر في ختام رده الأخير ما يتضمن أن العلاقة بين الطريقين علاقة القرع بأصله . فالطريق الذى قررنا أنه هو ما عناء في رده الأول ولا يمكن أن يكون قد عني سواء ، متفرع — في رأيه — على الطريق الوارد في رده الأخير ولا يمدد أن يكون « تنظيمياً فيه أو استثنائياً له من ولي الأمر بما له من حق التحريم والمنع . ولعل مما يدعو إلى هذا أن الناس لم يتهيأوا بعد لفهم هذا الحق ... الخ » والواقع خلاف ذلك لأن الطريقين متغايران — كما قدمنا — تمام التغاير ، ولا يمت أحدهما إلى الآخر بالصلة التي حاول الأستاذ عقدها بينهما ولا بجعل لثلاثهما . فهما وإن كانا من حق ولي الأمر — فيما يرى الأستاذ — إلا أن حقه في كل منهما لا بد من إرجاعه لأسل مغاير لأسل الآخر ؛ فحقه في منع عماله من تحرير وثائق أو سماع دعوى معينة راجع إلى (سلطته التنظيمية) عليهم باعتبارهم أدواته في مباشرة (ولا يبنى التنفيذ والقضاء) . أما الحق المنسوب له في التحريم فلا مندوحة من إرجاعه إلى (سلطة تشريعية) لولى الأمر تتعلق بأفعال المكلفين عامة مما يقتضيه تعريف الحكم الشرعى . وحتى على التسليم بأن طريقه الجديد مما يصح اعتباره تحريراً لاراده بالطريق الأول ، فهو مع ذلك غير مؤد إلى الغاية التي قصد إليها إلا وهي التدايل على دعواه أننا نملك تحريم تعدد الزوجات ، إذ لم يرد من أحد من القائلين بحق ولي الأمر في النهي عن المباح

تولستوى الحائر (*)

للأستاذ محمود الخفيف

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

تذكره أبداً بفزعه الأكبر منها ؛ وهو ما فكر فيها لجرده الفكر في ذاته ، ولكن شيئاً مبهماً خفياً ظل يوجه نفسه هذه الوجهة منذ حدثته ، لا يتقطع عنه إلا ليمود إليه أقوى بما كان ، وما زال حتى وقف به على حافة الهاوية ...

وما قصر أو نهان في درس أو قدم عن استقصاء . قال : « ولكنى ربما كنت قد سهوت عن شيء أو أخطأت فهم شيء . ذلك ما تحدثت به إلى نفسى سراراً ؛ فليس من الممكن أن تكون مثل هذه الحال من اليأس أمراً طبيعياً في الإنسان . ثم بحثت عن تفسير لهذه المسائل في كل ناحية من نواحي المعرفة بلغتها الناس ، وبحثت بحثاً مؤلماً طويلاً ، لا لجرد الفضول والنظر ، وقضيت في بحثي الشاق زمناً ، بالنهار وبالليل ، أجده كما يجد من أشرف على الهلاك حين يطلب النجاة ؛ فلم أعد من ذلك بطائل » لم يدع شيئاً من العلوم النظرية ولا من العلوم التجريبية ، والسكينة لم يجد في العلم بنيتها . فذا بلغ العلماء من العلم إلا بعض ما يتصل بأبحاث المختصين والمخترفين ، أما ماله صلة بالمشكلة الأساسية وهي مشكلة الحياة ، فقد أهملوه أو جهلوه . يقول عن العلماء « إنهم هكذا يجيبونك : أما عن سؤالك : ماذا أنت ولم نمش ، فليس لدينا جواب ، وليس هذا مما تشغل أنفسنا به . أما إذا أردت أن تعلم قوانين الضوء أو قانون الاتحاد الكيميائي أو غيرها فلدنا أجوبة واضحة معددة عن ذلك لا تقبل الجدل » .

ولم يدع شيئاً مما له في الفلسفة صلة بمسائل الحياة ، فقرا سقراط وبوذا وسليمان الحكيم وشوبنهاور وأصحابهم ، ولكنه لم يرجع من فلسفتهم إلا « بأن كل شيء في الحياة عبث ، وأن السعيد هو ذلك الذي لم يولد » .

ماذا يقول سقراط ؟ أليس هو القائل : « إننا نقرب من الحقيقة كلما أخذنا في الابتعاد عن الحياة ، ولأن حياة الجسد شر وباطل ؛ وعلى ذلك فالتقضاء على حياة الجسد من التمتع ، وينبغي علينا أن نطلبه ؟ » وماذا يقول بوذا ؟ أليس هو القائل : « إن من المستحيل أن نمش وفي نفوسنا أن الألم أمر لا بد منه ، وأنا سوف يلحقنا الضعف ويصيبنا الكبر ويدركنا الموت .. ألا إنه يجب علينا أن نتخلص من هذه الحياة ؟ » .

وماذا يقول سليمان ؟ أليس هو القائل « عبث في عبث وباطل في باطل ، وماذا يجني الإنسان من عمله تحت الشمس ؟ بعض

ما الحياة إلا وهم . وما سمينا فيها إلا عبث . وما أنفسنا وأولادنا إلا طعام للدود . وما مسراتنا وملاهيها إلا كأصوات الخناثين من الأطفال في ظلام الغابة اللغاء يدرأون بها عن أنفسهم الخوف . وما ذلك الذي نسميه في الحياة جمالا إلا غرور ، إن كل ذلك إلا باطل ؛ وإن هو إلا اللاشيء . ذلك ما أغشى به إليه تأمله ، وذلك ما يذهبه ويفزعه ويحيطه باليأس من جميع أنظاره وليته ينسى ! ولكن أنى له النسيان وهذه الحياة نفسها

(*) من كتاب « تولستوى » الذي يظهر بعد أيام عن دار الرسالة بالقاهرة .

أن هذا يجري فيما وردت بحله نصوص (تفصيلية) محكمة في الكتاب والسنة كما هو الحال في تعدد الزوجات (وابست هذه النصوص - فيما أعتمد - موضع خلاف بيني وبين الأستاذ عبد المتعال) ، ولا تنفذ عباراتهم جريانه إلا فيما هو من قبيل « المصالح المرسلة » التي لم يشهد لها الشارع بحل ولا بحرمه فتكون - قبل نهى ولي الأمر - على أصل الإباحة ، أو « سد الذرائع » بالنهي عما يدخل تحت نصوص (أجمالية) بالإباحة إلا أنه يتخذ ذريعة لإرتكاب محرم . والحكمة المستفادة من نهى ولي الأمر في هذه المواضع وما شابهها تكون مستندة في الواقع إلى دلائل عام من الكتاب أو السنة ، فلا يقال إنها شرعت بنهي ولي الأمر ابتداء . على أن مسألة نهى ولي الأمر عن المباح - حتى في نطاق هذا التحديد الذي بيناه - مسألة خلافية ، القول فيها طويل والرأي غير مستقر ؛ نهى ، من كل الوجوه ، ليست بالذي يصح أن يمول عليه في مثل هذا الباب .

أما ما استشهد به من موضوع « زراعة القطن » فلا يصلح للاستشهاد لأنه قياس مع الفارق الكبير ، وهذا ظاهر .

أبراهيم زكي الدين بروي

التخصص في التربية الإسلامية والقانون
من جامعات الأزهر وباريس ونواذ

أقول نعم؟ إذن فإلى القصر . ولن أخرج بعد ذلك أبداً طلباً للفتنة .
ثم إن سكيا موني فقد كل عزاء ، وأيقن أن الحياة أعظم
شر ، وجعل همه كله أن يتخلص منها ويخلص غيره .

هكذا تصور الحكمة الهندية الحياة . وهكذا راها نواستوى ،
ولقد فكر كثيراً في أن يتخلص منها ...

ولكنه يرى كثيراً غيره من الناس يعيشون لا تزعمهم الحياة
ولا يكربهم التفكير فيها ، فإذا كان لم يجد في العلم هداه ولا في
الفلسفة ، أفلا ينظر في حياة الناس ليرى كيف يرضون ولا يشقون
مثل شقائه ؟

وعرف من الناس في الحياة أربعة أنماط : فريق هم الجهلاء
الذين لا يدرون أن الحياة عبث وسخف ، وإيس له في هؤلاء
فائدة ؛ لأنه لا يستطيع أن يعود جاهلاً . وفريق يعملون سخفها ،
ولكنهم مع علمهم يوطنون أنفسهم على تحملها ، وهو لا يقدر أن
يجاريهم فهو متبرم ساخط . وفريق هم الجادون الماملون الذين
يتخلصون من الحياة على أية صورة ، وهو لا يستطيع أن يفعل
فعلهم لأن شيئاً خفياً يمنعه من ذلك كالأغراء اليأس . وفريق
يرون الحياة زوراً وعبثاً وأن لا خير في مستقبل ولا رجاء ، ومع
ذلك فهم يتعلقون بها وإن تمذّبوا ، وهو من هذا الفريق .

على أن هناك فريقاً خامساً لا يدخل في هذه الأنماط الأربعة ،
هم أولئك الذين لا يكثر لهم أحد ، وينظر إليهم السادة نظرتهم
إلى الدواب ، وهؤلاء قد وجدوا لهم في الحياة معنى يعيشون
عليه ، معنى لا يتصل بالمقول ولا بالفلسفة ، وذلك هو الإيمان .
ولكن إيمان هؤلاء يقوم على أساس من الأرثوذكسية
عقيدة الكنيسة الروسية الإغريقية ، وهي ما لا يستطيع أن يحمل
عقله على قبوله ...

يا للحيرة ! إن العقل يفضي به إلى إنكار الحياة نفسها ، وإن
الإيمان يقتضي أن يعطل العقل ... أى بلاء هذا ؟ وأى ليل مغمم
ولكنه علم فيما علم قول المؤمنين إنه لا بد من إعداد النفس
للإيمان حتى تؤمن ؛ وإذا فإيدع العقل جانباً وليناقض رجال
الدين ، ولينظر في كلامهم لعله يصل إلى قلبه ، وليقرأ ما كتبه
آباء الكنيسة ، وليطالع سير القديسين ، وليتعبد فيقيم الشمائر
جميعاً ، وليزر الأديرة ، وليذهب إلى الأب الصالح أمبروز ، ذلك

جيل وبأن جيل غيره والأرض هي الأرض قاعة أبداً ؛ وكل
ما كان هو ما سوف يكون ، وما عمل هو ما سوف يعمل ؛ ولا جديد
تحت الشمس . ولن يذكر ما مضى من الأشياء ، وكذلك ما هو
آت فسوف لا يذكره من يأتي بعده .

وماذا قال شوبنهاور ؟ ليس هو القائل : « الحياة هي ذلك الذي
كان يجب ألا يكون ... هي الشر ؛ وإن انتهاءنا إلى اللانتهى
هو الخير الوحيد فيها » .

وهذه الحكمة الهندية القديمة كيف تصور الحياة ؟ « كان
سكيا موني أميراً شاباً يعيش عيشة سعيدة حجب عنه العلم بالمرض
والسكولة والموت . وخرج الأمير ذات يوم للزهة فبصر بشيخ
فقد أسنانه ، يتمتر في مشيته ، ويهت منظره الرعب في النفس ،
فسأل ذلك الأمير الذي لم يكن له علم بالشيخوخة حتى ذلك
اليوم سائق عربته ، وقد أخذه العجب : ماذا يكون ذلك ؟
وكيف وصل الرجل إلى هذه الحال التمسدة الكريهة ؟ ولما علم الأمير
أن ذلك حظ الناس جميعاً ، وأنه سوف يصيبه لا محالة يوماً ما ،
لم يستطع أن يستمر في زهته ، وأمر سائقه فماد به إلى القصر
ليتفكر في هذه الحقيقة . ثم أغلق من دونه الأبواب وجعل
يتفكر . ويرجع أنه وجد عزاء لنفسه ؛ فقد خرج ثانية للزهة
مبتهجاً سعيداً ، ولكنه أبصر هذه المرة مريضاً منهكاً أعشى
العينين مرتعش البدن ، ولما لم يكن للأمير علم بالمرض فقد وقف
وسأل عن ذلك . ولما علم أنه المريض ، وأن كل إنسان عرضة له
وأنه هو نفسه ، وهو الأمير القوى السعيد ، قد يمرض في غده ،
لم يطق متابعة سيره وعاد ثانية إلى قصره ليتدبر ويبحث عن عزاء
ويرجع كذلك أنه أصاب عزاء ، فقد خرج يتره للمرة الثالثة .
ولكنه في هذه المرة وقع على منظر جديد ؛ فقد أبصر رجلاً يحملون
شيئاً ما ، فسأل ماذا يكون ؟ ولما أخبر أنه رجل ميت قال متمججاً :
ميت ؟ وما الميت ؟ وأخبر أن الإنسان إذا أصبح مثل ذلك الرجل
صار ميتاً . فدنا الأمير من الجثة وكشف عنها غطاءها ونظر
فيها وسأل ماذا يحدث بعد ذلك ؟ فأخبر أنها سوف تدفن في الأرض
واستفهم عن سبب ذلك فأجيب : لأن الميت سوف لا يعود إلى الحياة
وسوف يتفنن وينتج اللود . وسأل الأمير أذلك حظ الناس
جميعاً ؟ وهل يحدث له مثل هذا ؟ وهل أدفن وأنفن وأنجن اللود ؟

عليها نوحى إلى نفسه الإيمان ، ومن ذلك مدينة كيف وما تزدحم به من كنائس وأديرة قديمة . ولا يزال يستفهم القسيسين والعلمانيين من الطاعنين في السن من الناس . ولا يزال يقيم الشماز ويعظمها . . . ثم لا يعود من ذلك جميعاً بشيء إلا الجحود بما تقول الكنيسة .

تلك حال ترلستوى وما صنع في تلك السنوات التي أعقبت زواجه حتى أتم كتابه « أنا كارينينا » . ثم تلقى الضربة التي جعلته يتخبط في الظلام ، والتي جعلته يلقى بعيداً بحبل كان في متناوله مخافة أن يشق نفسه ، ويجعل دون بندقيته قفلاً غليظاً كيلا يصورها إلى قلبه . وما تلك الضربة إلا أنه بعد طول عنائه يرى الحياة لا شيء ، ولكم يزعمه اللاشيء ويوبق روحه ويرزعزع فؤاده ! ولكن إذا كان لا يحب أن يقتل نفسه فما معنى أن يستسلم لليأس ؟ وكيف يحيا إذن ويطيع حياته إذا كان لا يرضى الموت ولا يرضى الحياة ؟

إذن فليجاهد على وعورة الطريق وبعد الشقة وظلمة المفازة ، ليجد معنى للحياة ترتاح له نفسه ، ويسعد به البشر . ولئن وقف به ما سلف من جهاده وقفة التائه الذي يخيفه الفضاء والظلام ، فلخير له أن يمضى له ليل يجد بعد الضلال هدى وبعد المذاب راحة . ولأن يتحمل وغناء السفر مهما عظمت أهون عليه من هذه الوقفة التي تسكاد تلقية في قرار سحيق ...

لقد قضى من عمره قرابة ثلاثين عاماً يعمل للفن ، فليقض ما بقى من عمره عاملاً على تقرير معنى الحياة ، وليس ما يمنع أن يكون الفن أداته فيما هو قادم إذا لم الحال ...

وسوف يعمل تولستوى دائماً ناصباً ، حتى ليعد جهاده في سبيل غايته من أروع فصول الكفاح في خطى البشرية ، فليس أبلغ في معاني البطولة من تحمل مثل ما سوف يلقاه من عذاب ، ولا من الصبر على مثل ما سوف يعترض له من صماب . وسوف يفدر تولستوى في تاريخ الفكر الحديث ، والأدب الحديث ، والفن الحديث ، بجهاده المائل منقطع القرن في إخلاصه وحميته وثباته . أجل ، وسوف يرتفع إلى منزلة وسط بين الأنبياء والناس .

محمد الحبيب

الذي كان يستعينه جوجول والذي استنمائه دستوفسكي وسولوفيف ؛ وفعل ذلك جميعاً ولكن الشك ما زال يأخذ بخناقهم ويكاد يزهق روحه ...

ويقرأ العقيدة الأرثوذكسية ، وكلما آمن فيها سخر منها وبعد عن التصديق بها . فما هذا التثليث ؟ وما هذا التحول إلى دم المسيح ولحمه ؟ وما تلك المعجزات التي تنسب إلى القديسين ؟ وما تلك الأدعية والصلوات والطقوس ؟ أذلك مما يقبله العقل ؟ كلا ثم كلا ثم يحاول أن يطرد الجحود من نفسه فرمما كان الجحود هو ما يحول بينه وبين الإيمان . ويقول لنفسه دائماً إنه مستعد لأن يؤمن . قال في كتابه « اعتراف » بصف ذلك : « لقد أنجبت صوب الإيمان لأنني لم أجد شيئاً خارجه إلا الخراب . وعلى ذلك فما دمت لا أستطيع أن أطرح عقيدتي جانباً فقد صدقت وخشمت . وقد أحسست في قلبي من الفنون والاشوع ما جعلني أقبل ذلك . ثم إنى عدت فخشمت وازدردت الدم واللحم من غير سخرية في نفسي رغبة مني في أن أصدق ؛ ولكني أذكر ما مر بي من صدمة وأرى ما ينتظرني فيما هو قادم ، فلا أملك أن أظل مصداقاً .

وإذا يرى نفسه في بحر لجلي من الحيرة يسأل نفسه : ماذا يريد أن يعرف على التحديد ليلتمس السبيل إلى معرفته ؟ فيكتب على رقعة : لماذا أنا حي ؟ ما سبب حياتي وحياة غيري من الناس ؟ وما هدف حياتي وحياة غيري ؟ ماذا تمنى ثنائية الخير والشر التي أحسها في نفسي ؟ ولماذا هي قائمة فيها ؟ وعلى أي وجه ينبغي أن أحيأ ؟ وما الموت ؟ وأهم من ذلك كله وأكثره تعقيداً كيف أنجى نفسي ؟ ذلك أني أحس أني هالك ، فإني أعيش ثم أموت ؛ وإنني أحب الحياة وأخاف من الموت ، فكيف أنجى نفسي ؟ » وإذا لم يبق له إلا الدين والإيمان ، فأى إيمان ؟ إنه إذا قارن في نفسه بين تلك الأوقات التي آمن فيها بالله وبين تلك التي أنكر فيها الله ، وجد الأول نبرة فيها شفاء للنفس ، ووجد الثانية مغالمة فيها العناء ، ولكن الإيمان بالله شيء ، والإيمان بما تقول الكنيسة الأرثوذكسية شيء آخر ...

ولا يزال بطيل الفزاة في العقيدة الأرثوذكسية ، ولا يزال يقرأ الأديان جميعاً في كتبها ، ولا يزال يزور الأماكن المقدسة

لا أثر للمغازلة في روسيا

من ترجمة عن مجلد اشترنايشونال رابريست

بقلم الأستاذ توفيق ضمون

هذا ما بدا لأحد سكان غربي أوروبا عند ما زار موسكو ، وقد عاد منها مقتنعاً أن « الرقيق كوبيسد » أصبح شيئاً غير مرغوب فيه في وطن ستالين . أما روايته في هذا الصدد فهي ما يلي :

اقتادف سكان غربي أوروبا مشاهدة المظاهرات الغرامية على أنواعها ، وفي مجلها تبادل القبّل في الشوارع والفترهات ، والتشجيع على المناصرة الذي يلقاه الرجال من الفوانى . فلا بدع إذن أن يوجب الباريسيون أو سكان أى مدينة من كبريات المدن الأمريكية للمحافظة الثامنة على الآداب العمومية التي يلقونها في موسكو .

مما لا ريب فيه أن هذه المدينة التي تجمّع بعضى عدد سكان باريس هي واحدة من « أنظف » بلدان العالم ؛ إذ أن العلاقات اليومية بين الرجال والنساء خاضعة لقواعد التعفف والصون التي جرى عليها الأقدمون . فلا عواهر يخطرون في الأسواق ، والرجال والنساء ، شباناً وكهولاً ، لا يتبادلون القبّل علانية ، ولا يسرون متشابكي الأذرع ولا متضامنين لكي يثبتوا للدلائل ما يضمنه أحد الفريقين للآخر من حب وإعزاز . وجل ما يراه الزائر محبان يتزهران ، وقد أخذ كل منهما بذراع الآخر في احتشام كل ، فيخيل إليه أنهما زوجان انقضى على قرانهما عقد من السنين .

ومما استرعى انتباهي بنوع خاص أننى بينما أنا واقف في مطار كالينينغراد في انتظار طائرة تقلني إلى موسكو ، تجلى أمامي بشهد وداع مدحس جرى بين جندي مبتور الذراع وخطيبته الحسنة المسافرة ؛ فعند ما أذن الموعد أخرجت الفتاة من محفظتها تفاحة قدمتها للجندي فتناولها مبتسماً ، وبادها بدوره إهداءها بضمة من أزهار كان قد اقتطفها من حقل مجاور . والظاهر أن تعرضهما للأفطار وبكهما إلى حد أنهما افترقا دون هناق . وصمدت الفتاة إلى الطائرة حيث لبثت مستغرقة في تفكيرها لاهية عن كل ما حولها

باستثناء لحظات خاطفة كانت تاقى فيها نظرة أمى من النافذة ، أو تصوبها إلى طاقة الزهر الصغيرة التي زوجها بها خطيبها الجندى ، وعبثاً حاول الترفيه عنها ، فقد رفضت بأدب وحزم كل ما عرضته عليها من سكاكر وحلوى .

وفي غضون الأسبوعين اللذين قضيتهما في موسكو تكررت أمامي المشاهد الدالة على المحافظة إلى أقصى حدودها . ولم يتفق لي أبنته أن رأيت مطارحة من المطارحات الغزلية الشائنة المألوفة في المدن الأوروبية والأمريكية . فان تلك النظرات الخاطفة التي يتبادلها المارة عادة في باريس أو نيويورك ، والتي تعبر عن التباهى بالجمال أو الأناقة أو الإعجاب بهما مفقودة تماماً في موسكو . والذي وثقت منه أن الفتاة أو المرأة في العاصمة الروسية لا تدرك معنى لأدلة الحب والإعجاب ، أو هي تأخذ نفسها بإوجب تجاهلها . فإن أنت أطلت النظر إليها عزت ذلك منك إلى تبينك لطفة علفت بأنفها فتحاول إزالتها بمنديلها .

وإذا رأيت امرأة جالسة على مقعد في حديقة عامة فلا تخش إذا أنت جاورتها أن تحدجك بنضب ، أو تخلى مكانها ؛ إذ هي لا ترى في صنيك ما يريب أو يدعو إلى الاستهجان . وإذا جرؤت على سؤالها عن الوقت أو استطلعتها رأيها في الطقس أجابتك بكل بساطة معينة لك الساعة ومعربة عن شعورها بنقص الحر أو اشتداده بالنسبة إلى ما كان عليه في الأحد الفائت .

ولا يصح أن يُمرّى ما يبدية الذكور في موسكو من الفتور أو التحفظ إلى نقص في جاذبية إناثها ، فمن على العكس من ذلك بارعات الحسن ، وجمال بعضهن رائع فنان . فهناك الموسكوفيات الذهبيات الشهور السمهرات القوام ، والشماليات ذوات البشرة الماجية والأعين الزرق ، والفوقازيات القانتات اللحاظ اللعرات النغور . ولكن رغم كل هذه المقويات بندر أن يمرهن الرجال التفاناً . وحتى اليوم لا أعلم سبباً لهذا الفتور وعدم البلاء بيديهما الرجال نحو أبرع النساء جمالا سوى اعتبارهم الاحتفال بالجمال إلى حد التذلل ، إخلالا بالآداب العامة .

ومما يلفت النظر بنوع خاص هو أنه بين زهاء الألفين من اللوحات المصرية المروسة في المتحف الفن لا يوجد رسم واحد عار . وفي أثناء إقامتي في المدينة أعرت مديرة المنزل دفترأ أودعته ما أوحاه إلى خيالي من رسوم طارية لآدم وحواء في

لم ينالكوا أن أهدوا منتهى الاستغراب عند ما رأوا الفتيات يودعن عند الباب ولم تدع واحدة منهن رفيقها للدخول وتناول فنجان من الشاي أو كأس من الشراب .

وهذا لا يعني أن الغرب المقيم على سفر في موسكو لا يستطيع . أن يصادق فتاة روسية ، على أن علاقته بها تختلف كثيراً عما لو كان في باريس أو لندن أو نيويورك . مثال ذلك أن الفتاة الموسكوفية تستاء إذا حاول رفيقها أن يدفع عن ما تتناوله من طعام أو شراب ؛ فهي تصر على دفع حصتها من النفقة ، ولا تقبل هدية إلا إذا كان في استطاعتها أن تقدم ما يضارعها في أول فرصة تسنح .

وقد اتفق لي أن قدمت يوماً لفتاة عمرها هدية صغيرة فردت عليها في الحال بطاقة من الأزهار . وفي ظرف آخر قدمت لفتاة موسكوفية زجاجة عطر أنيت بها من باريس فما كان منها إلا أن قدمت لي على الأثر كيساً من البرتقال .

وما أنا قد عدت من روسيا مندهشاً لتحرر الروسيات من سلطان الحب . ولا بد لي من الاعتراف بأن العلاقات الجارية بين الجنسين في العاصمة الروسية تدهش إلى أقصى حد الرحالة الذي تنالت أمامه في كل مكان الشاهد الدالة على ما كان للحرب من الأثر في تداعي الأخلاق ، وما عقبها من الفوضى الأدبية في البلدان الأوروبية دون استثناء .

نوفمبر ١٩١٧

محمود خفيف

يقع — دم

من راء المنظار

صور اقتصادية فلكية من حياتنا الاجتماعية

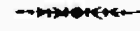
الفردوس . فلم يكذب بقع نظرها على الرسم الأول حتى أعادت إلى دفتري قائلة : « اسبح لي أن أعيد إليك بضاعتك إذ لا سوق في روسيا للرسوم البديهة » ، ولا يقوم الفارس أن بين تلك الرسوم ما يريب أو يחדش الغفاف ؛ فإنني لو كنت في باريس لما خرجت أن أطلع عليها راحة في دير سان سوبليس فلا ترى فيها ما يوجب الإغضاء . والأغرب من ذلك أن الكثيرين من أصدقائي في موسكو كدوا لي أن تلك المدبرة لا تمتد من المتطرفات في التصون .

وربما كان أشد ما حيرني سلوك الرجال ؛ فهم متطرفون في كتمان عواطفهم الجنسية . ومما أذكرك في هذا الصدد أنني بينما كنت مسافراً في طائرة أخذت أسلي نفسي بمطالعة عدد من مجلة « ليف » حتى إذا ما استوعبت جبل ما يهمني من مواده دفنته إلى ضابطين روسيين مجاورين لي ، فراحا بقلبان صفحانه دون أن يستوقفا ما حفل به من رسوم الفتيات ذوات الجمال الرائع والهندام البارع ، شأنهما في ما صرا به دون مبالاة من صفحات المواد لجهلهما اللغة الإنكليزية . أما الصفحة الوحيدة التي أطلالا فيها التحديق فهي تلك التي تضمنت إعلاناً عن معمل دراجات آلية . ولا يزال ذلك الاحتشام المحسوس للموس في روسيا سراً منلقاً على ، وربما كان من أول الأسباب الداعية إليه هو أن النساء في الاتحاد السوفياتي ، باستثناء أقلية لا يؤبه لها ، أسبحن على قدم المساواة مع الرجال ، ففي كل مكان تقوم المرأة بأعمال كانت وفقاً على الرجال ، كقيادة الحوافل ، وبيع تذكار السفرى محطات السكك الحديدية ؛ حتى أن تنظيف المجارى تقوم به النساء . وكثيراً ما تبصر إحداهن خارجة من الأعماق وقد علت وجهها ونوبها الأقدار بعد أن غامت فيها بمخاضها الساقى الضخم .

ومن الجهة الثانية نرى أن الروسيين قد أعياهم إدراك مفهوم التربين للأسلوب الأسلح في العلاقات بين الجنسين . ومن الأمثلة الطريفة على تقصيرهم في هذا المضمار هو ما شاهدته في (قيانا) ، فقد دُعِيَ عدد من الفتيات الفرنسيات المهندات إلى حفلة اجتماعية أقامها ضباط روسيون . ومما لا ريب فيه أن الفرنسيات لم يماورن في سلوكهن الحد الذي ألفته مع أبناء جنسهن . وكان الروسيون الذين نجبوا كل أنواع المنازلة أن رافقوا بكل أدب مدعوتهن إلى منازلهن ، ولكنهم

مذبحة الأبرياء في قرية دير ياسين

للاستاذ على محمد سرطاوى



تقع قرية دير ياسين البالغ عدد سكانها (٧٠٠) نسمة، غربي بيت المقدس، بين المستعمرات اليهودية، وكانت تعيش مع اليهود على أحسن ما تكون الصداقة، ولم يعتد أحد من سكانها على أحد من اليهود.

ويوم كانت البلاد تشيع ابنها البار، وبطلها العظيم، الشهيد عبد القادر الحسيني، بطل القسطنطينية، إلى متواه الأخير، انقضت جموع غفيرة من اليهود المسلحين على تلك القرية وأمنت في السكان الأمنيين قتلا وذبحاً: فبلغ عدد القتلى (٢٥٠) قتيلًا. وكان من بينهم (٢٥) امرأة عاملاً، (٥٠) امرأة مرضعاً، و (٦٠) امرأة أو فتاة ذبحن ذبح الخراف في أفظع مظاهر القسوة. ثم جموا (١٥٠) امرأة وبمد أن مزقوا ملابسهن، واعتدوا عليهن، أركبوهن سيارات مكشوفة، وطافوا بهن الأحياء اليهودية. وكان الجمهور الصهيوني المتمرد الممذب يرمجن بالحجارة ويبصق عليهن، ويشتم دينهن، وتبينهن، والجلادون واقفون فوق رؤوسهن، يتباهون بهذه البطولة، والجمهور يهتف لهم، ويطلق التصفيق، حتى إذا ما أنهتهم الطواف بهن، أوصلوهن إلى طرف الأحياء العربية، وأخذوا يقذفونهن إلى الأرض، وبطلقون الرصاص فوق رؤوسهن كبرا وجبروتاً وإرهاباً!

والذي يترامى أن الباعث النفسي الذي يحرك هؤلاء الناس، إلى أعمال وحشية من هذا النوع، لا يعود في أصله إلى وطنية صحيحة، ورغبة صادقة في الميث بسلام في جزء من الأرض، وإنما يعود إلى شعور هذه الطائفة، أفراداً وجماعات، بالجزع والجبن، والتمدن عن الرجولة والشجاعة، لأن الرجل الشجاع لا يستبجح لنفسه أن يقتل طفلاً أو امرأة في مثل هذه السهولة، ثم يتباهى بما عمل من بطولة، وبما صنع من معجزات.

والتاريخ الحافل بالاضطهاد الذي ذاق مرارته اليهود، في الزمن البعيد والقريب، كان كافياً لترك في أعماق نفوسهم ثورة

جامعة مدمرة، على أي عمل يقترب على أيديهم، أو بسببهم، يتمثل بالأساليب التي اضطهدوا بها، لو كانت لهم ضمائر تتعشى فيها الكرامة الإنسانية.

والذي يندد الحرية والاستقلال لا يطلبها عن طريق محاربة استقلال الآخرين وحريتهم. وإنسان من هذا النوع خليف بأن يحمر نفسه من ذل الزمن، وأن يتجرد من القيود والنزعات الحمجية التي لا تسيطر إلا على الشعوب الساذجة التي لم تقل قسطاً من بقطة الضمير، قبل أن يرفع عييه إلى مصادر النور! وإيس مقياس مدنية شعب من الشعوب، هو مقدار ما يملك من قوة مادية، وإنما هو مقدار ما يملك من قوة روحية تدفعه إلى حب الخير، وإلى التمرد على الظلم في جميع صورته ومظاهره، والعقبات الزمنية التي يقف أمامها شعب من الشعوب في طريق سيره نحو الأبد المجهول، ليست إلا اختياراً عملياً، يقدمه ذلك الشعب للحياة، (أرى مقدار ما في طبيعته من حب للشر أو الخير لينجحه التاريخ الشهادة التي يستحقها).

ولقد يندفع شعب من الشعوب نفسه، وبدور حول الحقائق ويتحلل من شخصيته الصحيحة في سيره مع تيار الحياة، ولكنه لا يثبت أن يعود إلى قواعد نفسه مزمزماً مدحوراً، كما يعود إلى نفسه وطبيعته المجرم الأفاق الذي يتظاهر بالورع المزيف، والتقوى التي ليس لها في حبه وجود.

واقف كاف الطموح الجنوني، في الأمس القريب، ألمانيا والعالم أجمع، فخايا، وآلاما، ومتاعب، كانت نهايتها انهيار هتلر ونظامه، ومن ورأهما ألمانيا العظيمة، تلك الأمة التي دمرها ذلك الطموح، وجرأها مرارة الذل والخضوع.

واليهود، وهم حفنة في حساب العدد، بطمحون إلى السيطرة على سبعمائة مليوناً من العرب، بانزاعهم فلسطين، وهي قلبهم الحفاني، غير مقدرين النتائج الوخيمة التي ينطوي عليها هذا الاندفاع الجنوني.

والنظافة المتناهية، في صور القسوة والبربرية والحمجية، التي يمتدنون بها على النساء والأطفال والشيوخ، حتى على جثث الشهداء، سياسة يحسبون أن اتباعها يرهب العرب ويوصلهم إلى ما يريدون منهم. وقد نسوا أو تناسوا، أن العرب أمة عريقة في المجد، شديدة البأس، لا تلين لأساليب العنف، ولا يزيد ذلك إلا عنفواناً وصبراً وجلداً وتصميماً على الأخذ بالثأر، مهما

بين الشيوخ والشباب

للاستاذ عباس خضر

مرة يتساءل : هل يحفر الشيوخ قبورهم بأيديهم ؟ ماذا يريد هؤلاء الشباب ؟ وضرب مثلاً للشباب ما بذله من جهود في التحصيل وما عاياه في مستقبل حياته الأدبية .

وأخيراً كتب الأستاذ توفيق الحكيم مقالاً في « أخبار اليوم » بعنوان « آمال الجيل » أنه قد كان لبناً فيه ، إذ بث في أوله وفي وسطه روحاً طيباً في معالجة العلاقة بين الجيلين . وبما قاله « ما الذي سيحدث في العشرة أو الخمسة عشر عاماً المقبلة ؟ هل الأمل مفعود على طائفة من الأدباء يمكن أن تبرز بنوبتها في الصف الأول ، لتضفي في رفع مشعل الأدب والفكر في هذا البلد ؟ ! أو أنه كما يقال ليس في الإمكان أبدع مما كان ؟ ! » وقال : « ونحن إذا جلنا اليوم في حديقة الأدب المصري لوجدنا أشجاراً مملوءة بمصير الحياة ، مونة بأزهار الفن .. لا ينقصها إلا أن ننظر إليها بعين الرضا ، وأن نتخيل ما ستكون عليه غداً من سمو وارتفاع .. » ومضى يتساءل عن واجههم نحو أعلام الفن ويعترف بانصرافهم عنهم إلى أن ختم المقال بقوله : « غير أن المشكلة التي نحيزنا دائماً هي : وسيلة المعونة .. أم هي في تجنيب الجيل الجديد

تجربى بين الحين والحين مناوشات بين أدباء الشباب وشيوخ الأدب ، تتمثل في نقادات خفيفة من الشباب للشيوخ ، قلائها في أعمال أدبية معينة ، وأكثرها تنقيداً لـ « لك بعضهم في الإنتاج الثاقف للسلف الذي يختلف عن سابق جدهم وإبداعهم ، ولبعد أكثرهم عن ملاسة الحياة وواقع الناس فيما يكتبون ، فهم — في رأى الشباب وبعض الشيوخ — إما هاذرون مستون ، أو معتصمون بالقباب الذهبية .. ولا أقول الأبراج العاجية .

وتتمثل تلك المناوشات أيضاً في حملات بعض الشيوخ على الشباب ورميهم بالقصور في التحصيل واستكمال الآداة ، وأنهم يحاولون هدمهم ، ويقولون إن عليهم أن يجدوا ويكسبوا ليعملوا إلى ما يبتغون ويظفروا بما يأملون . وقد كتب الأستاذ للآزنى

تطاول الزمن ، ومهما جسمت التمهجيات .

ولقد سبق للغرب أن شن هجومه على الشرق باسم الدين ، في الحروب الصليبية ، وفي فلسطين نفسها ، فلم يهن العرب ، وبقيت الحرب بينهم وبين أوروبا سجلاً قرابة قرنين من الزمن القاسى ، تمكنت في نهايته من طردهم منها . وها هو التاريخ يعيد نفسه ، ويحمل إلى شواطئ فلسطين جهات مشردة ، أفاقة ، مجرمة ، من الهوان على أنفسهم وعلى الحقيقة ، أن يحسب لهم العرب حساباً ، مهما امتلأت أيديهم من أدوات الفتك والتدمير والقدر والتذلة التي يطفح بها تاريخهم القديم والحديث ، إن جاز أن يكون للجاعات من هذا النوع تاريخ أو ما يشبه قصة تفوح منها روائح القبور والجيف .

إن العرب وهم شعب عريق في المجد ، لن يقابل أعمال اليهود البربرية بمثلها ، بل يعصى وراء أولئك الأندال أشباه الرجال ، يملهم درساً قاسياً ، ويهدم على رؤوسهم المجرمة ، صروح الأوهام ، متبماً في ذلك وسية أبى بكر ، أول خليفة ، لأول جيش يفيض على أطراف الهلال الخصب من الجزيرة الجبارة ، من عدم

الاعتداء على النساء والأطفال والشيوخ . وحينما احتل الصليبيون بيت المقدس ، نباحوا بأن خيولهم كانت تسبح في دماء النساء والأطفال والشيوخ الذين استجاروا برحاب المسجد الأقصى فذبجهم فيه . ولكن سلاح الدين الأيوبي حفر دماء أولئك القصة ، وسمح لهم بالخروج من بيت المقدس حين تم له طردهم منها ولو عقل اليهود ، وقدر لهم ، أن ينظروا إلى قلوب العرب السكرية الرحيمة ، قبل هذه البربرية ، لوجدوها تفيض بالختان والرحمة ، ولنا كدوا من أنها أبر بهم وأحن عليهم من تلك القلوب المستعمرة التي تتخذ الآن وسيلة الاعتداء على حرية العرب الذين طالما أغدقوا عليهم العطف في كل عصور التاريخ . والعرب في كافة أقطارهم ، مصممون على سحق الصهيونية المجرمة ، في فلسطين ، لا حباً في سفك الدماء ، ولكن دفاعاً عن الشرف العربى الذى استباحوه في رعونة جنونية . والربل لهم حيناً تدنو ساعة الانتقام والثأر لشرف المسلمات في دير ياسين ، اللال طالما صرخن ، وامتصهات وللعرب سبعة متممين الآن يثأرون للشرف المشباح . وسيملم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

على محمد سرطارى

والكرامة من الشباب فالتك دعواهم ، إنهم يشقون طريقهم بأقلامهم ، لا ينتظرون من أحد معونة ولا بدأ ، وهم إزاء ما يشاهدون من إسماء الكبار ، يرون أنهم أقدر على تلبية روح عصرهم الجديد ، فإن لم يتيسر لهم ذلك الآن فهم في الطريق إليه . أما النقد الأدبي ، فقد تخلى عنه الكبار لأسباب منها : المجاملات الشخصية ، والرغبة في الدعة الذهنية ؟ فإن الشباب يحاولونه . وتوقعهم عوائق كثيراً ما تأتي من الشخصيات التي يتناولها النقد ؟ فما يكاد يظهر نقد في صحيفة حتى يصيح المنقود : هؤلاء الشباب الذين لم يقرأوا كما كنا نقرأ ... الخ — يريدون أن يهدمونا ... ولا أجد غضاضة في أن أصرح بأن مجاملات المشرفين على النشر من أكبر عوائق النقد الأدبي ، وهم يقولون لك : ترفق ، ولا تكن عنيفاً . أكان أساتذتنا أدياء الجيل مترفقين في نقد من كان قبلهم ... ؟ أو في نقد بعضهم ببعض أيام الخماس والفتوة ... ؟ لقد كانوا يتبادلون شتائم يخرجون فيها عن حدود الذوق والفن والأدب .. ولا شك أن لغة النقد الآن — على قلته — قد ارتقت وهذبت . بل هي رقت إلى حد أفسدها ... وهو حد التقارض والمصانعة .

فكيف يفزع من هذا النقد الرفيق من ذلك ماضيه في النقد ؟ أما الأستاذ توفيق الحكيم خاصة فليس له ماض في النقد الأدبي ، وهو لا يعيل إلى الاشتباك في المارك الأدبية ، ولذلك نراه يتخذ أسلوباً « حكيمياً » في الفزع من النقد .. يقرأ ما يكتب عنه ، ثم يقدم فصلاً في أخبار اليوم يتظاهر فيه بأنه يناج موضوعاً مستقلاً ، وما هو في الواقع إلا تبرير لما يؤخذ عليه ... وأستطيع أن أرجع دافع كل مقالة كتبها في ذلك إلى شيء كتب عنه . ثم جاء أخيراً يسأل : ماذا نصنع ؟ تناقش ياسيدي وجهك أوجه ، وتدفع الحجة بالحجة ، أو تسكت إن أخذتك العزة بالإثم ...

والحق الصريح أن أكثر نتاج الكبار في هذه الأيام لا يعجب الشباب ، ولا يعجب كثيراً من الكبار أنفسهم ، ويمز على الجيل الجديد أن يفجع في أساتذته ، وأن مما يمكن أن يصنمه هؤلاء الأساتذة أن ينفذوا الغبار عن نمايلهم القديمة المقدسة لدى الشباب ..

أخطأنا ، أم هي في إشهاره بأخطائه ؟ أم هي في إعداده قبل الظهور ، أم في إظهاره قبل الإعداد ؟ ثم أولئك الذين فعلوا في فهم شوطاً وظهروا بعض الظهور ، وبدت مواهبهم متألفة كقطع النور ، أعلينا إزاهم واجب ؟ ما هو ؟ وما السبيل إلى الوفاء به ؟ .. إننا جميعاً لعل استعداد أن تؤدي واجبنا ولن نحجم عنه أبداً ، إذا عرفنا الوسائل وملكننا الأسباب ! »

ولا أراني في حاجة إلى تدرك كبير من الألمية لأدرك أن المقصود من المقال هو هذا الختام الذي انحسرت عنه تلك الروح الطيبة .. وقد استعان على إبراز هذا المقصود بمبارات التهمك من مثل « أم في إظهاره قبل الإعداد ؟ ! » كما استعان على ذلك بنقط التعجب وعلاماته التي حرصت على إثباتها في مواضعها . وعلى ذلك نستطيع أن نقول إن هذا المقال من أسلحة كتلة الشيوخ . فهو يشبه « مشروع مارشال » من حيث أن كلا منهما يرمي إلى مكائفة الكتلة الأخرى .. فكأنه يقول : هؤلاء الشباب الذين يتناولون علينا — ماذا يريدون منا ؟ وماذا نصنع لهم ؟

ولحكي أثبت للأستاذ الحكيم حيادي وبراءة هذا الذي أكتبته من تلك النواشات التي إن تقضى إلى حرب ذرية على أي حال — أسارع فأقره على حيرته وحيرة الشيوخ فيما يصنعون لهؤلاء الشباب ، وإن في هذه الثروة الأدبية الضخمة التي كونها أدياء الجيل ، لمدرسة الشباب ، وقد تخرجوا فيها فعلاً ، فما هو الإعداد إن لم يكن هذا ؟ أيقعدون لهم فصولاً في النصح والإرشاد ؟ ولا أخفي أنني أبتسم عند ما أسمع أن كبار الأدياء قصروا نحو الجيل الجديد وأن عليهم أن يأخذوا بيدهم .. إلى آخر هذا الكلام الذي لا أرجعه إلا إلى العي ...

على أن هناك جانباً عملياً لا يملك كل الكبار فيه شبيكاً ، وهو النشر والتشجيع على الإنتاج . ومن الحق أن أقول أن من ييدهم شيء من ذلك نراهم يشجعون كثيراً من الشباب الناشئين ويقومونهم ، وإن كان بعضهم يقصر عنايته على بطانته والسائرين في ركابه ..

ولا أريد أن أسترسل في ذلك الذي جرتني إليه دعوى ذوي الي والراغبين في الوصول دون عناء . أما ذوو الكفاية

أمنية الشاعر !

الشاعر الحب والجمال لامرئين

بقلم الأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

(تنبه ما نشر في العدد الماضي)

—•••••—

... وكأنما عز على لامرئين أن يتعب روحه ويضفيها في البحث عن الله ، أو كأنما شعر أنه أوفى من يحته على الغاية التي يحق للبشر أن يوفوا عليها — فأثر أن يستريح راضياً بأمنية يتمناها مخافة أن يبلجته طول البحث إلى الكفران والجحود ، فتأوه مشتاقاً إلى الحقيقة ، ثم غنى خاصة واحدة من خواص الملائكة ، فغض بعصره عن حياتهم السرمدية ، وعن سعادتهم الأبدية ، ولم يرج سوى الإلهام له وللناس : لأن الإلهام هو الذي أَرْضَى الملائكة ربها فسمعت وأطاعت ، وحرية التفكير هي التي بثت البشر على الانطلاق فخفضوا طوعاً أو كرهاً ؛ ولكن الذين خضعوا كارهين ما برحوا يستغربون لماذا ألهم الله غيرهم الطاعة فأنشدوا لحن الخلود ، ولم يلهيهم هم فماشوا في شقاء من بعده جحيم ؟ ..

« ٩ — إن ما أتمناه من الملائكة ليس حياتهم السرمدية ، لا ، ولا سعادتهم الأبدية !
ولكنه الإلهام . هذه الحاسة التي يستطيع بها القلب الجحود ، أن ينشد لحن الخلود ! »

ويخيل إلى الشاعر أن الله أجابه إلى رجيته ، فأثار بصيرته بوميض من الإلهام ؛ فإذا هو لا يكتم فرجه بما يحول في نفسه ، ولكنه يقر بأنه لا يقدر على إبداء هذا المعنى السامي الذي انكشف له ، فكان أعظم من الأمواج الصاخبة ، ومن الصواعق الغاضبة ، فترك سره ليل ليظهر الناس عليه :

« ١٠ — يساور نفسي شيء أرق من الصبا للموب ، سيذبه الليل ويُفشيهِ !
شيء أعظم من الموج ، ومن الصاعقة المنسوب ، رقبتي لا يستطيع أن يبدية ! »

وبقارن لامرئين بين هذا الوميض الذي انكشف لبصيرته

وبين أسرار الطبيعة التي احتجبت من بعصره ، ويسمع إلى لحن الوجود النفاذة إلى أعماق النفوس ، فيرى أنه لم يؤت من الإلهام إلا قليلاً ، ويرى أن تشبيح البحر لحناً أوقع من لحنه ، ولجذوع الغابات نغمات أروع من نغمه ، وللاوصاف الموح نسيدياً أقوى من نسيده ، وللأنهار الجارية أغاريد أحلى من أغاريد : فالبحر لا يقذف إلى ضفافه أمواجه إلا لسمع شكواها ، وجذوع الغابات لا ينحن بعضها إلى بعض إلا لتلحن بحوارها ، والدافئة لا تغلج صدر السحاب إلا لتضاعف صوتها في أعماقه ، والأنهار لا تنفس إلا لتعلم الناس موسيقاها ؛ فلكل منها زمار يطلق منه أنغاماً تسبح بحمد الله وتقدس له ، وكل قد علم صلته وتسيبته ... أما الإنسان فإنه مهما صفت نفسه وراق قلبه يتمنى أن يحسن الغناء كما تحسنه الأمواج ، والجذوع ، والوصاف ، والأنهار ، وكل مظهر من مظاهر الطبيعة البكر ، ثم يجد أمينته تصاعد في عالم مجهول ، ثم لا يدري أتمود عليه بالإخفاق أو النجاح . إلا أنه أخيراً يخفق فيعلم أن زمزماره من صنع يده وهو لا يصنع إلا كاملاً ، وأن زمامير الطبيعة من صنع الله وهو لا يصنع إلا كاملاً ...

« ١١ — أيها الخضم الذي يقذف إلى ضفافه أمواجه الشاكية !

يا جذوع الغابات المتناجية !

يا عاصفة يمتلئ بها السحاب ، ويا أنهاراً أنفاسهم خرب !

آه ! لو أنيت هذه الزامير ! »

ويلفت الشاعر إلى نفسه ، ثم يخاطب روحه التي تمثت كثيراً ولم تجب إلا قليلاً ، ويمجج كيف يصبر نفسه مع الحب الذي يضطرم في أحشائه كأنه نار لا ينطفئ لها لهيب ، أو إعصار ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ، ويتألم لهذه الروح التي جعلت حب الله صلاتها وتبجحها ، وتقربت إليه بخفي ندائها ، ولم ترَ وجهه إلا أن يشرق عليها بنور معرفته ، لينقذها من حراسة كلها لهيب ، ومن ذهول كله وحشة ، ثم لم يستجب لها بشيء . ولو شاء أن يستجيب ، لأسر في أعناقها اسمه الحبيب ؛ ولو أسر اسمه لرضيت روح الشاعر ، واطمأن قلبه ، واهتدى عقله .

« ١٢ — وا روحاه ! هذا الإله الذي يفرمك حبه كأنه نار ..

أو تحرقين به كأنه إعصار ! »

لو استجاب - وأنت مشدودة ذاهلة - لحاسنك الجياشة اللائحة ،
لأمر اسمه في لفظة واحدة !»

وهنا يهتف بلامرئين صوت خفي : لا تمجل فإن الله يسر
اسمه ، وما عليك إلا تلتبس زمانه ومكانه فتسمعه : يسر اسمه
في أدن الطبيعة فهمس به شفتها وهي محتلية في صومعتها ،
بعيدة عن الدنيا وضجتها ، قريبة من السماء ورحمتها . . . حينئذ
تجلس الطبيعة إلى السماء جلسة المستلم إلى العليم ، فتحفظ منها
اسم الله وتناجيه معها ، ثم تنتظران كأنهما تنهّس الصبح
ليفضي إليهما بأمرار اللا الأعلى ، أو رقبان عمة الليل
لتنسما سمر الكواكب ، فما يسمر منها كوكبان ، إلا على ذكر
الخالق الرحمان .

« ١٣ - إن هذا الإسم لسرّ فهمس به الطبيعة في الخلوات ،
كما تحفظه السموات !
وكما طالع الفجر أففى بهذا السر ، وكما تسامر كوكبان ،
كان سردهما الشجي الفتان !»

ويفرح الشاعر بما ألقى إليه الهاتف ، ويظن أنه وقف منه
على السر المنشود ، وأنه قد وصل به إلى اسم المعبود ، فما عليه
إلا أن يسهر ليله فيسمع الكواكب السامرة ، أو يثب مع الفجر
أيى أسرارها الباهرة . . . وفي هذين الوقتين السعيدين يريد أن
تسمى كلها حواسه أدنا تسمع وقلبا يبي ؛ بل يريد أن تسمى
المواسف والأعصار ، والأرض والنيران والبحار كلها آدانا
صاوية ، لأن من سكت في هذين الوقتين فإنما يسكت لنفسه ،
ومن ضج فإنما يضج عليها . ويريد من الرياح أن تقف لتتلم هذا
الإسم بعد أن طربت بألحانه ، ومن السموات أن تسترجه
وتردده بعد أن ثملت بحمرة عرفانه : فقد « خشمت الأصوات
للرحمن فلا تسمع إلا همّا » .

« ١٤ - إن العواصف والأعصار ، والأرض والنيران والبحار ،
خليقة أن تسكت لسمائه !
وإن الرياح الطروب بألحانه ، حريّة أن تقف لعرفانه ،
والسموات لاسترجاعه !»

وما أحوج المتألم إلى ذكر هذا الإسم العظيم وترداده ، لأن
لوسيقاه رنة تشفى السقيم ؛ ومن أجدر من لامرئين بالراحة وهو

نمب ، وبالشفاء وهو عليل ، وبالسرور وهو حزين ؟
لقد كان في الأنواء مضطرب الفسكر ، موزع النفس ،
متزابل الشاعر ، حتى أنه نظم قصيدته المروفة (مالروحي حزينة
Pourquoi Morime Ea est Triste) فلم يكن أحب إلى
قلبه من وسيلة يتحول بها من أزمات نفسه الحادة إلى السكينة
والاستقرار

ألا وإنه قد وجد هذه الوسيلة ، وهي التي ستأسو ما جرحته
يد الحياة ، وهي التي ستحيل وادى أراحه جنة أفراح . فليقذف
بحزنه بعيداً ، وليلق بأسأه ظهرياً ، وليستدبر كل ما يهكر عين
قلبه ، وليستقبل الحياة من جديد برضا وارتياح !

وتتمره السعادة وتلبس روحه ، ويضع في كفة ميزان
ما نال من لذتها الحاضرة وفي كفة أخرى ما لازمه من ألم التماسه
الماضية ، فيجد نعيمه أرجح ، ويلقى التذاذه أغلب ، فلا يقيم
لطول الزمن وقصره وزناً ، ويرى أن لحظة إيمانه تعادل إعدام
حياته ، ويخشى أن تفارقه هذه السعادة التي لا يمكن أن تدوم
لأنها بسعادة اللانكحة أشبه ، وهي بين البشر كالنسيم المطير
بضوع بقجحاته ، ثم يعود من حيث أقبل تاركاً هذا المأخوذ
رائحته للأعاصير والدوامف ، وللرياح والأواء ، ينالها وتغالبه
ويصارعها فتصرعه .

خاف أن تراه هذه السعادة إذا بقي على قيد الحياة ، فتعنى
أن تكون ختام حياته ، وآخر لحظاته ، لياق الحقيقة التي سعى
إليها بوجه ناضر ، وليقف في أول شاطئه ما لحضمه من آخر :
فأرسل هذه الأبيات الأخيرة بحمارة الشاعر ، وحماسة المؤمن :

« ١٥ - هذا الإسم وحده معاداً غير ممنون حين أن بأسو سقاي
في هذا الوادى من الآلام !
فخدير بي أنت أهتف غير محزون : لينصرم آخر أياي ،
قد مجدت الإله ، ومرحى بالهام !»

وإنك لتجس في هذه القصيدة روحاً متصوفة تذكرك بالذين
سلفوا من أصحاب النزعة الروحية المجردة ، فمن أين لهذا الشاعر
مثل هذه الروح ؟

ويزول مجملك متى علمت أن لامرئين - وإن لم يثلث
التصوف علماً ، أو يذوق مسلكاً - كان صوفى المزاج ، مستمداً

طرائف من العصر المملوكي :

السبعة الشهب

للاستاذ محمود رزق سليم

—•••••—

وإذا ذكرنا ما كان يحيق بالعصر وأدبائه ، من متبيلات الهمة وموهنات المزينة ، ومن منفضات العيش ومقدمات الأمل وموئسات الأدب ، ثم رأينا أن شعراءه — بالرغم من هذا — انطلقوا في كل واد ، وسرحوا في كل مسرح ، حتى انسمت في القول آمادهم ، وبمدت آفاقهم ، وقضوا حق الشعر بخافوا منه أفاين ، وأدوا رسالة الأدب فأبدعوا منه آيات . لمرفنا أى شعراء وأى أدباء كان هؤلاء الأسلاف .

وترى بين المعاصرين منهم — فيما ترى — وشائج الأدب موصولة ، وصلاته حافلة ، وروح سارية متوثبة ، ودعوتهم قائمة منشورة . لا يخلو أحدهم من مطارحة صديق أو مبارضة رفيق ، أو مداعبة صاحب ، أو مفاكهة خليل ، أو مسامرة نجي ، أو معاينة شجي . أو مسابقة إلى مكرمة شعرية ، أو مباراة في مأثرة أدبية .

وأولى حليتهم حلبة الجزار والوراق ، وابن عبد الظاهر والشاب الظريف . ثم حلبة ابن نباتة والحلى والصفدى وابن الوردى والشهاب بن فضل الله . ثم حلبة القيراطى والموصلى وابن مكانس وابن أبى حجلة . — وهكذا لا تكاد تخلص من حلبة إلا إلى أختها ، ولا تفادر طائفة إلا إلى غيرها . وإذا ذهبنا تنوّه برجال

جرت عادة الشعر ، أو اعتادت الطبيعة الشاعرة في كل أمة ، وفي كل جيل من أجيالها أن تنجب ، وأن تلد لنفسها من نجبائها رسلا يؤدون للناس رسائلها ، ويقضون دينها ، ويوفون للحياة حقها . فيكونون سريرتها النابضة وبصيرتها الوامضة ، وبنودها الخافقة ولسنها الناطقة . ويحيون في جيلهم دولة الشعر والأدب . ولو أننا تتبعنا العصر المملوكي من أوله إلى آخره ، وهو زهاء قرون ثلاثة ، نضم أجيالا ستة — إذا قدرنا لكل نصف قرن جيلا — لوجدنا في كل جيل منها حلبة من الشعراء ، جالوا في الميدان ، فرسان رهان ، مالكين الأعنة شارعين الأسنة . والأدب للباب مسلسل لهم في الزمام ، مرخ في الخطام . ليصلوا منه إلى الغاية ، ويوفوا على النهاية . ولأدركنا أن الشاعرية المصرية ما كانت قط عقيمًا ، وأن شعراءها ما كانوا أبدًا مقصرين .

لو أن بعض هذه الأرواح التي ليست في هذا العالم مطلقًا تستجيب في سرها لأصوات الخافقة الضميمة . ولو أن بعض القلوب التي ما زالت قاسية تفتتح وتذرف دمة جديدة ؛ ولو أن بعض هاتيك الأرواح الحساسة التفتية تفهمنى وتعرفنى وتبلغ سويداء قلبي وتسم بيننا وبين نفسها ألسنا لم أزد على أن ضربت على بعض أوتارها فإن هذا حسبي ، وإن هذا الغاية متمناى ، بل إن هذا لأبعد من أن أرجوه ! »

وإني لأعزل بهذه الكلمة الجياشة بأنيال المواطف الإنسانية في توجيه هذا المقال الذى أرجو مخلصاً أن يكون فاتحة لهذه الموضوعات .

وبعد . . . فهذه أمنية الشاعر كما صورها لاسرتين : روح نسيح ، وخيال يحلق ، وقلب يؤمن ، وسعادة تقمر ، ورضا وطمشان يحملان الحياة .

صبرى إبراهيم الصالح

للترب لو تهيات له الظروف لنشأته في بيت يقدس التقى والزهو والمغاف .

وإني لشاعر في قرارة نفسى بأن هذا المقال موجه إلى طائفة من الناس تذوقه ، وقد يقرؤه غيرهم فلا يجدون الخلاوة التي وجدوها . ولقد أحسن لاسرتين إذ وجه هذه القصيدة مع قصائد أخرى من نوعها تجاوز الأربمين في ديوانه (أنغام شعرية ودينية Harmonis Poétiques et Religieuses إلى طائفة خاصة وصفها في مقدمة الطبعة الأولى بقوله :

« في هذه الدنيا قلوب حطمتها الألم ، ونبتذها المجتمع ، تزع إلى عالم أفكارها وإلى عزلة أرواحها لتبكي أو تنظر أو تعبد . فهل أطعم أن يدعو أصحابها أشماراً تقدس العزلة كما يقدسونها إلى الشعور بالارتياح نحو أنفاسها ، وأن يقولوا أحياناً إذا أصاخوا إليها : « إنا لنندعو بأقوالك ، ونبكي بدموعك ، ونبتهل بأناسيك » . »

قال الشعر في أغراض عدة منها النبويات والمدائح والإخوانيات
والنزل وغيرها . وقد وشح وقطم ، وطارج وورى وألفز وحاجي ،
إلى غير ذلك .

ومن لطيف أغزاله قوله :

صب لآيالك بالأشواق ممدود فقيد صبر عن الأحباب مفقود
باعد عن الأهل والأوطان مقرب وواحد ماله في الصبر موجود
مقيم قد بكى بعد الدموع دما كأنما هو في عينيه مفقود
النار ذات وقود في جوانحه شوقا وفي خده لادمع أخدود
يا غجل الشمس بالأشواق إن فنى

طلعت في داره يوما لممدود

أمرت قلبي ومنذ حجبت عن بعري

تهدأ فكان له بالقرب تبعيد

روى أن شهاب الدين بن مبارك شاه مدح ابن حجر بقصيدة

دالية . وروى أن شهاب الدين الحجازي كان بطارج ابن حجر
شعرا .

وكان ابن حجر أول شهاب منهم خبا ضوؤه وغاب شماعه ،
وأسلم للغيب ، وكان ذلك في عام ٨٥٢ هـ وقد رثاه الشهابان
الحجازي والنصوري . فقال أولهما من قصيدة رائية :

كل البرية المعنية صائر وقفو لها شيئا فشيئا سائر
والنفس إن رضيت بذاربع وإن

لم ترض كانت عند ذلك خاسره

ومنها يصفه :

فكانه في قبره سر غدا في الصدر والأفهام عنه قاصره
وكانه في اللحد منه ذخيرة أعظم بها درر العلوم الفاخرة
وذكر الشهاب النصوري أنه سار في جنازته ، فأمطرت السماء

على نمشه ، وقد قرب إلى المصلى ، ولم يكن الوقت وقت مطر
فقال :

قد بكت السحب على قاضي القضاء بالطر

وانهدم الركن الذي كان مشيدا من حجر

أما شهاب الدين المعروف بالشاب التائب فهو أحد بن علي

ابن محمد التراقي القاهري الشافعي . ذكر السخاوي في الضوء
أنه كان أدبيا فاضلا جيد الخط ، أخذ العلم والأدب عن ابن

كل حلبة عادين مأثرهم ، ذا كرين مفاخرهم ، لاحتاج القتال إلى
أكثر من مجال .

والسبعة الشهاب الذين عنونا بهم القتال ، يكونون حلبة من
تلك الحلبات ، أو على وجه أدق هم فريق من حلبة تماضر رجالها
وتعدد أبطالها . وقد اجتمعوا في القاهرة في وقت واحد ، وكان
كل منهم بلقب بشهاب الدين وهم سبعة من الشعراء الذين زاع
صيتهم وملأ شعرهم فجاج القاهرة وغمر اسماءها ، حتى أطلق
عليهم القاهريون هذه التسمية « السبعة الشهاب » وعرفوا بها ،
وسجلتها لهم كتب الأدب والتاريخ .

هؤلاء الشهاب السبعة هم : الشهاب بن حجر المسقلاني ،
والشهاب بن الشاب التائب ، والشهاب بن أبي السمود ، والشهاب
ابن مبارك شاه الدمشقي ، والشهاب بن صالح ، والشهاب الحجازي ،
والشهاب النصوري .

لمت هذه الشهاب مما في سماء القاهرة في أواسط القرن
التاسع الهجري ، وليدوا أول الشهاب اللامعة بها ولا آخرها ،
فقد سطع بالقاهرة من الشعراء غيرهم من يدعى « شهاب الدين »
مثل شهاب الدين بن المطار المصري المتوفى عام ٨٧٩٤ ، ولكن
ميزة هؤلاء الشهابيين في ألقابهم وحرفتهم أنهم تماضروا
واجتمعوا بها فافترت ألقابهم ، وأضفى عليهم هذا التماضر
والاجتماع نوبا من الجلال والشهرة .

وقضلا عما اشتهر به كل منهم على حدة من الفضل ، عقدت
المودة أو اصرها بينهم -- أو على الأقل بين بعض منهم وبعض ،
واتصلت بينهم وشائج الأدب وروابط الفن ، فتبادلوا بالشعر
مقارنات الثناء ومطارحات الإخاء ، ونعت فيهم مظاهر التعاطف
والألفة مع التسابق في مضمار الأدب .

أما شهاب الدين بن حجر المسقلاني فهو قاضي القضاء العالم
الفقيه الحافظ الراوية المؤلف المؤرخ ، صاحب كتاب « الدرر
الكامنة » و « فتح الباري » و « الإصابة » وغيرها من ذخائر
الفقه والتاريخ والحديث . وهو الأديب الشاعر النائر . وفي إحدى
مقالاتنا السابقة جايئنا صفحة من أدبه وروينا فيها طرفا من شعره ،
ذا كرين أن له ديوان شعر مخطوطا قيما لا يزال قابلا مجفوا في رف
من رفوف دار الكتب المصرية . ولا بأس هنا أن نذكر أنه

وبسيط السعدي . والسعدي هو جده شمس الدين كان عالما وأديبا مصنفًا .

وقد أكتب ابن صالح على دراسة علوم الدين والعربية حتى برع في كثير منها ، متتلذا على جلة شيوخ عصره مثل القاياني والشمسي والتويري . وأقبل على فنون الأدب حتى حذقها ، وأجاد في نظم الشعر ، فانسجم لفظه ومعناه . وطرق أبواب المديح والإخوانيات ونظم العلوم . وطارح أنداده من كبار الشعراء ويقال إنه كان أرق شعراء عصره نظما . وبفضله صديقه شرف الدين المطار على ابن حجر المسقلاني وابن نباتة المصري . وكان هو وشهاب الدين بن أبي السعدي فرسي رهان . واتصل بأعيان عصره ومنهم السكالي ابن البارزي . وكان ذكيا سريع الإدراك . وقد نظم المعائد الفلسفية شعرا . ويحدثون عنه أنه هجر الشعر بأخرة وجنح إلى العلوم .

ومن شعره يشيب بمن اسمه « فرج » ويورى ومضمنا :
شكا فؤادي هم الصديا فرج وفيك أصبح صدرى ضيفا حرجا
واستئس القلب حتى رحت أنشد -

يا مشككي الهم دعه وانتظر فرجا
ومدح السخاوى صاحب الضوء اللامع ، ومن قوله فيه :
وقد حفظ الله الحديث بحفظه فلا ضائم إلا شذى منه طيب
وما زال يملأ الطرس من بحر صدره

لألى ، إذ يملأ علينا ونكتب
ومات ابن صالح في عام ٨٧٣ هـ . وهو خامس الشهاب ظمنا .
أما سادسهم فشهاب الدين الحجازي ، المولود في القاهرة عام ٧٩٠ هـ . واسمه أحمد بن محمد بن علي الأنصارى الخزرجى الشافعى . كان سريع الحفظ . وقد بدأ حياته التعليمية بدراسة مذهب الإمام الشافعى وحفظ حديث الرسول عليه السلام . وغير ذلك من علوم الدين . ثم أقبل يجمع نفسه على الأدب ، وأجاد في فرض الشعر حتى طار صيته في الآفاق ، وطارح المسقلاني ، وراسل الشهاب النصورى ، وغيرها .

وكان الحجازي خفيف الروح لطيف المعاشرة طريف المذاكرة . ويبدو لنا أنه كان على المهمة وثابا إلى المكرمات الأدبية ، فقد روى أنه جمع شعره ونثره في ديوان . وله غمزة في شرح

الهام والشمسي والحصى ، وقرأ توضيح ابن هشام . وأنه كان بطارح بشعره . ومن طارحهم الشهاب النصورى ومن شعره موريا في حناء اسمها شقراء :

سبقت ليدان الفؤاد بحبها شقراء نجذب مهجتي بعنان
فتراكت حمر الدموع وشبهها مذجات الشقراء في المهدان
والشباب التائب هو ثاني المودعين من الشهب ، فقد توفى عام ٨٦١ هـ .

وبهذه المناسبة نذكر أن هناك شابا ثابا آخر ولد بالقاهرة سنة ٧٦٧ هـ ، واسمه أحمد بن عمر بن أحمد ، ولقبه شهاب الدين أيضا ، كان يتماطى العلم حتى عد في الفضلاء ، ويجلس على موائد الأدب حتى عد في الأدياء . وكان ينظم الشعر ويميل إلى الصوفية حتى اعتقد فيه بعض الناس ، ومات بدمشق عام ٨٣٢ هـ . روى ذلك السخاوى في الضوء أيضا .

أما شهاب الدين بن مبارك كشاء ، فهو أحمد بن محمد حسين القاهري الحنفى . تلقى العلم على ابن الهمام وابن الديري ، وغيرهما . وصنف بعض الكتب ، ومنها كتب أدبية مثل « السفينة » . وبرع في نظم الشعر ، قال عنه ابن إلياس : « كان من أعيان الشعراء » ، حسن اتصاله بكثير من أعيان عصره ومنهم ابن حجر المسقلاني ، وقد روينا أنه مدحه بقصيدة دالية . ومن شعره يشبه عشرة بمشرة قوله :

فروع جبين محيا قامة كفل صدغ فم وجنات ناظر ثمر
ليل هلال صباح بانه وثقا آس إفتح شقيق نرجس در
وله في القناعة :

لى فى القناعة كثر لا تقادله وعزة أوطأنتى جهة الأسد
أمسى وأصبح لاسترفدا أحدا ولا ضئينا بميسور على أحد
والشهاب بن مبارك كشاء هو ثالث من توارى من الشهب ، فقد توفى عام ٨٦٢ هـ .

أما الشهاب الرابع فهو شهاب الدين بن أبي السعدي ، وكان هو والشهاب بن صالح كثيرى المطارحة . وقد توفى في مكة عام ٨٧٠ هـ .

وشهاب الدين بن صالح ، اسمه أحمد بن محمد بن صالح ، قال عنه ابن إلياس وكان عالما فاضلا وأديبا شاعرا ملهرا ، ويعرف بابن صالح ،

شعره في ديوان كبير . وتقدم لنا من نظمه أمثلة . ومن قوله في الشكوى :

ليت شمري وفي الزمان خطوب وبلاء يختص بالأحرار
هل ليت قضى عليه طيب من كفيل أو آخذ بالثار
وقال متغزلاً فيمن اسمه « شاهين » مع التورية :

قد صاغك الله من لطف ومن كرم - وزاد حسنك بالإحسان تربيتنا
فأخض جناح الرما واصطد طيور وعى

من جو إخلاصنا إن كنت شاهينا
هؤلاء هم السبعة الشهاب . ولو مدنا القارح بالكثير من
أخبارهم لكان للبحث فيهم مجال أوسع ، ولكن هذه الآثار التي
قدمها عنهم تدل على علو كبرهم ورسوخ قدمهم في الأدب والشعر ،
فهى منهم كالمعنون من الكتاب ، واللغة من الشهاب .

محمود رزق سليم

مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

المقامات . وله شرح على المقامات . وصنف كتباً أدبية عدة منها
تذكرة في نحو خمسين مجلدة ، وكتاب قلائد النحور في جواهر
البحور . وكتاب في الأناز وكتاب في الحافة مرتب على حروف
المعجم . - وفي دار الكتب المصرية نسخة مخطوطة عملاء
بالذهب من كتابه « روض الآداب » وهو مجموعة أدبية مرتبة
على خمسة أبواب : المطولات والوشحات والمقاطيع والثرثبات
والحكايات . ويبدو أنه لم ينجب ، وذلك لقوله :

قالوا إذا لم يخلف ميت ذكرا

يلسى ، فقلت لهم في بعض أشماري
بعد المات أصيحابي ستذكرني بما أخلف من أولاد أفكارى
ومن شعره :

قصدت رؤية خصر مذ سمت به فقال لى بلسان الحال بنشدنى
انظر إلى الردف تستغنى به وأنا مثل الميذى فاسمع بى ولا تترى
وقد مات الشهاب الحجازى عام ٨٧٥ هـ عن خمس وعشرين

سنة تقريباً ، فرائه صديقه الشهاب المنصورى بقصيدة منها :

لطف نغمى على أفول الشهاب نعمة القوم نزهة الأنصحاب
كان في مطلع البلاغة يسرى فتوارى من الثرى بحجاب
فقدت به آياى الملقى ويتأى جواهر الآداب
هطلت أدمع السحاب عليه وقليل فيه دموع السحاب
وبموت الحجازى أصبح الشهاب المنصورى وحيداً لا شهاب
غيره فقال رثى زملاءه الستة :

خات سماء المانى من سنا الشهب فالأن أظلم أفق الشعر والأدب
تقطب العيش وجهها بعد رحلة من تجانبوا بالمانى مركز القطب
تمطت خرد الأيام من درر كانت تحلى بها منهم ومن ذهب
لونه لم الأرض ماذا ضمنت بطرت بهم كما يبطر الإنسان بالنسب
ولودرى المالك أن الأرض قبرهم لود نشقة عرف من شذى الترب

وقد أصبح المنصورى من بعدهم شاعر عصره غير متنازع ،
ورأس أدبائه غير مدافع . واسمه أحمد بن محمد بن خضر السلمى ،
ويعرف بالهائم القاهرى . كان جميل الهيئة متمفقا عن الناس . مهو
في نظم الشعر وسلك به أبواب الغزل والوصف والمدح والثناء
وغيرها . وقد عاش بين سنتى ٧٩٩ هـ ، ٨٨٧ هـ ، ومات بعد أن
نيف على الثمانين ، وبعد فالج أصيب به فأقدمه زمنا . وقد جمع

وزارة المعارف العمومية

تقبل المعطاءات بمكتب حضرة صاحب
العزة وكيل المعارف المساعد بشارع
الفلكى بالقاهرة أو توضع باليد بمعرفة
مقدمها بالصندوق المخصص للمعطاءات
بإدارة المحفوظات بالوزارة لغاية الساعة
الثانية عشرة ظهر ٢٨ يونية سنة ١٩٤٨
عن توريد الأجهزة والأدوات اللازمة
لدراسة الفناطيسية والكهرباء في العام
الدراسى ١٩٤٨ - ١٩٤٩ ، ويمكن
الحصول على قاعة المناقشة من إدارة
التوريدات بشارع الإنشاء بالقاهرة نظير
دفع مبلغ ١٠٠ مليون (مائة مليون)

٩٣٥١

نامى ...

الأستاذ إبراهيم محمد نجبا

نامى فإب الليل قد جاء رمضى النهار ، وكان ضوضاء
والنهر نام ، فلم يمد ماء لا ... بل ملاكا رائح الطاهر

نامى لدى صدرى ؛ ففي صدرى دنيا من الأنعام والشجر
إن كنت أنت تخيلة الزهر فأنا الحزار يوم بالمطر

واستقبل حلم العصب المذب فيه تطير عرائس الحب
هو صورة لنوازع القلب ما أروع الصور التي تفرى !

إني سأقضى الليل مهرانا أرى العاصف باغضنا وفيانا
لا ... لا تخافى لست سكرانا إني بدأت أتيق من سكرى

لا بأس إن قبلت ياليتي ثغراً بفضى بنوره الليلا
أترين أنى آثم ؟ كلا لست أنا ما خرة النفس

لا بأس إن داعبت ياليتي (كاسين !) ما أغلى وما أحلى !
أنا إن لعبت فلم أزل طفلا لعب الطفولة غير ذى وزر

قوى فإن الفجر قد لاحا والبلبل الفريد قد راحا
يستقبل الأنوار مـداحا وبطير من زهر إلى زهر

والزهر داعبه الندى فصحا واهتز في أوراقه فرحا
قد خلته في عصمه قدحا في كف أغيد ما نل الخمر

وسرى النسيم مـنى وأقراحا تشدو فيشدو الكون أرواحا
وتبهر عطر الزهر فواحا فإذا الوجود يفيض بالسحر

هذا الصباح بيت في نفسى دنيا من الأفراح والأنس
هاتى الدمام ، وقربى كاسى أو قربى شفتيك من تفرى

قوى اسمى أنماى السكرى تذكى الحنين ، وتبت الذكري
قد أرسلتها نفسى الحوى اتذيع ما بالنفس من رى

قوى نظرى أفقنا السامى أنشودة من وحى أحلامى
ذهب الظلام ، وتلك أنماى تهتز بين أشمة الفجر

قوى تنفى غصوة الحب فوق الربا . الريانة العشب
ما بال هذا الواله العصب لا يستقر اليوم في صدرى ؟ !

ما باله كالطائر الترق طال الحنين به إلى الأفق ؟
تمضى الحياة به على قاق من ذلة الحرمان والأسر !

قوى أسأله الآن في عطف ماذا تريد ؟ وما الذى تحنى ؟
سيجيب : أمنيى التى تشنى هى قبلة من تترك البكر

هى قبلة تهدى إلى نفسى أمل الشباب ، وبهجة العرس
وتنير مثل أشمة الشمس فيذب فيها كالندى عمرى

ساعى البريد

للأستاذ شفيق معلوف

ساعى البريد وما ينفك منطلقا وكل باب عليه غير موصود
يسمى بأكداس أوراق مغلفة نفوح منهن أطياب الواعيد
خلف النوافذ أجفان مشوطة إليه تخفق من وجد وتسهيد
بدا فهز عقود الفيد مقدمه هز النسيم لجبات المناقيد
كم قبلة من فم العشاق يحملها على يديه ويهديها إلى الفيد

يا ساعيا بابتسامات توزعها على الشفاء بلا من وترديد
كم وجه أم يحوز إن برزت له لم تبق من أثر فيه لتجميد
تلقى إليها كتابا إن يصب يدها شدته باليد بين النحر والجيد
كأن كل غلاف منك ملتحف بابن إلى صدر تلك الأم مردود

وكم دكم رقعة كالخط مشرقة وهينها كل كابي الخط منكود
يا واهبا كل بشرى حين جدت بها راحت تكذب عنك الفقر بالجود

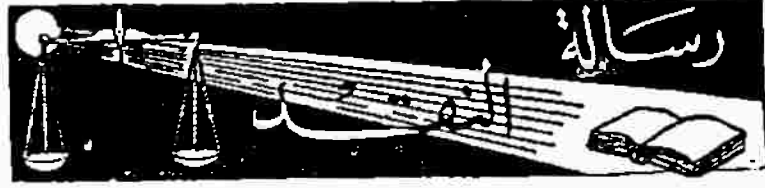
أمد بذاك فينا ما بذلت نرى هينيك في ماتم والناس في عيد
لو تعلم الناس يوما أنها ساخت أيامها البيض من ليلتك السوداء

شفيق معلوف

طانت أول الأمر أن الفلسفة الأولى هي فلسفة اليونان التي اشتغل بها العرب في إبان بهزتهم في الترجمة . فقد اكبروا على فلسفة اليونان ونقلوها إلى اللسان العربي الذي كانت الفلسفة شيئاً جديداً عليه . ولكن الدكتور الأهواني يقول في مقدمته التحليلية النفيسة للرسالة إن اصطلاح «مادون الطيبيات» هو نفسه «الفلسفة الأولى» ص ٥٥ ؛ وقد يكون ذلك مقبولاً لو أن عنوان رسالة الكندي هو «كتاب الفلسفة الأولى أو مادون الطيبيات» ، ولكن العنوان هو كما يذكر الدكتور الأهواني «كتاب الفلسفة الأولى فيما دون الطيبيات والتوحيد» ، ويستنبط المحقق من هذا النص أن مادون الطيبيات غير التوحيد ، ولكنه ينسب ما يقوله الكندي في أحد مواضع الرسالة أن الفلسفة هي علم الربوبية والوحدانية — أو التوحيد — وينسب ما يقوله الكندي في موطن آخر : (إن علم الملة الأولى سمي بحق الفلسفة الأولى) .

ورسالة الكندي في الفلسفة الأولى لا تزيد على نصف الكتاب المطبوع اليوم إلا قليلاً . أما النصف الأول فهو تحقيق علمي دقيق في ترجمة الكندي ونشأته ومنزله في تاريخ الفلسفة الإسلامية وأسلوبه في الكتابة الفلسفية وتحليل الرسالة ذاتها ، وقد أضاف هذا التحقيق كثيراً من القيمة لهذه الرسالة التي كان للدكتور الأهواني فضل نشرها في لغة العرب لأول مرة ، وهو فضل نسجله دائماً مع الشكر لكل من يزيح ستراً عن أثر من آثار المسلمين إبان بهزتهم في زماننا هذا الذي ندعونا فيه دواع كثيرة إلى كشف الظلماء عن كل أثر إسلامي صغر أو كبير .

وإذا كنا أخذنا في عدد ماض من مجلة «الرسالة» على الأستاذ فؤاد جيمان عدم استيفاء التحقيق والتحليل لكتاب «ميزان الحكمة» الذي ألفه الحكيم الرازي ، فإن الدكتور الأهواني كان في الحق بعيداً عن موضع المؤاخذه حين أخرج رسالة الكندي في الفلسفة الأولى هذا المخرج الذي يجري على أسلم قواعد نشر المخطوطات . وإذا كان لم يقع اصدبقنا الأهواني من مخطوط الكندي إلا نسخة خطية واحدة فانه في الحق قد عفى نفسه في التحقيق والمراجعة على الرفم مساعناه من رداة الخط وكثرة التصحيف وعدم الإجماع في النسخ .



كتاب الكندي إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى^(١)

مقدم وفرمم له الدكتور أحمد فؤاد الأهواني

للأستاذ محمد عبد النبي حسن

لم تمض إلا أربعة أشهر أو خمسة على كتاب «معاني الفلسفة» الذي ألفه الدكتور أحمد فؤاد الأهواني حتى أتحف جناح الفلسفة في المكتبة العربية بكتاب من كتب فيلسوف العرب يعقوب الكندي ، وهو الكتاب الذي بحث به أول فيلسوف من فلاسفة العرب إلى الخليفة العباسي .

ولم يكن غريباً على فلاسفة المسلمين أن يبعثوا بكتبهم إلى الخلفاء ، ولم يكن جديداً على «الكندي» نفسه أن يرسل الخلفاء في مسألة من مسائل العلم ، فقد ذكر ابن أبي أصيبعة في «طبقاته» أن للكندي رسالة إلى المأمون «في الملة والمعلول» . وتحمل مراسلات الفلاسفة للخلفاء والأمراء معنى تشجيع هؤلاء لأولئك ، وهي في ذاتها دلالة من الواقع والتاريخ على ما كان يقوم به الخلفاء من احتضان العلماء وتقريبهم ومعاونتهم على أداء الرسالة الجليلة التي نصبوا أنفسهم لها ، وأضنوا أنفسهم في سبيلها .

وعنوان الرسالة نفسه «في الفلسفة الأولى» يحمل سؤالاً يرد على الخاطر لأول وهلة : هل هناك فلسفة أولى تقابلها فلسفة ثانية وثالثة ورابعة ؟ وهل هناك فلسفة أولى تقابلها على سبيل الطباق البلاغي فلسفة أخرى ؟ كما يقال في الشهور القمرية جادى الأولى وجادى الآخرة ؟ وكما يقال في صفات الله : هو الأول والآخرة ؟ ؟

(١) نشر دار إحياء الكتب العربية لميسى البان الحلبي — ١٤٨
منفعة من القطع المنير .

أشرت إلى ذلك في مجلة « الكتاب » عدد فبراير سنة ١٩٤٦ ص ٦١٦ ، واسأل الدكتور الأهواني رأى أن هذه الحقيقة في إسلامية الكندي وعربيته لا تحتاج إلى مزيد من التحقيق أو التقرير . والكندي لم يُنهم بالانساب إلى يونان كما يقول الدكتور الأهواني في صفحة ٤٣ . والظاهر أن المسألة اختلطت على الدكتور وهو ينقلها عن « السمودي » في كتابه « سروج الذهب » فلم يقل الكندي إنه يوناني ، ولكنه كان يذهب مذهب القائلين في الأنساب أن يونان أخ اقحطان . وشتان بين هذا وذاك . أما الشاعر الذي هجا الكندي لهذا الخلط في الأنساب فهو أبو العباس الناشي . من طبقة ابن الرومي في الإجازة وما كان يستحق من الناشر هذا التنكير بقوله عنه « أحد الشعراء » ...

وصحة البيت الأخير من أبيات « الثاني » كما يلي :
وتخلط يونانا بقحطان ضلة لعمرى لقد باعدت بينهما جداً
ويظهر أن الكندي مبتلي باضطراب الناس في حياته وفي آثاره وفي قيمته الفلسفية ؛ فالدكتور مذكور يقول عنه إنه كان ممهداً للفلسفة الإسلامية ولم يكن فيلسوفاً . والدكتور أبو ريدة يقول عنه إنه كان فيلسوفاً بالمعنى الواسع الذي يتمثل في فلسفة اليونان . والرحوم الشيخ مصطفى عبد الرزاق يقول إن ما بأيدينا من آثاره لا يمكن من استخلاص مذهبه الفلاني نسقاً كاملاً . وأغرب ما في هذا الاضطراب أن شهرة الكندي كانت موضعاً للخلاف عند الناس . حتى أن الدكتور الأهواني يقرر في ص ٣٦ أنه كان عديم الشهرة ، وأن رداة أسلوبه كانت علة في عدم شهرته . وأين هذا من قول الناشر نفسه في صفحة ٣٨ بأن الكندي اشتهر بالفلسفة ، وكأنه بهذا يناقض نفسه ... وأين هذا من قول القفطي عنه : (إنه المشتهر في الملة الإسلامية بالتبحر في فنون الحكمة الخ) .

بقيت كلمة واحدة في مقدمة الدكتور الأهواني لرسالة الكندي في الفلسفة الأولى ، فقد بلغت من وضوح المقاصد وسلامة المنهج وسهولة التعبير مبلغاً نهى الأستاذ عليه ، وخاصة إذا قيمت بالرسالة نفسها وما فيها من غموض في بعض المواطن . وكأن الدكتور الأهواني يعني أن يقول بهذا الوضوح المقصود أن الغموض التعبيرى ليس دائماً من أدوات الفلسفة ولأن لوازمها .
محمد هببر الفنى حسن

ولا أقول إن تخمين الرسالة الكندية المتضمنة قد أوفى على الغاية ، وخاصة حينما لا يكون بين يدى الناشر إلا مخطوط واحد يجتهد في تخرج الغامض من نصوصه على ما يقتضيه السياق حينما أو على ما يوحى به الحدس أحياناً ... مما يحمل الناشر على أن يقول هذه العبارة التقليدية ... : (في الأصل كذا واملأها كذا) ولعل ما يقع من اضطراب أو غموض في أسلوب الكندي محدود في بعض الأمر إلى ما عند الناسخين من تخطيط وتصحيف . والدكتور الأهواني يعترف مما بأن الكندي الذى تقع له العبارات البليغة في بعض رسائله ويحدث له التعبير المشرق « في رسالة في الحيلة لدفع الأحزان » لا يقع له الغموض في بعض ما كتب إلا حين يحمله التفلسف على التوسع .

وأخشى أن يكون الكندي مظلوماً في الذى قيل من رداة أسلوبه . فهل كان هو ينقل الرسائل عن اليونانية بنفسه أم كانت تنقل له ؟ فإذا كانت تنقل له فليس الذنب في الأسلوب ذنبه ، ولكنه ذنب الناقل ... ألم يختلف مؤرخو الحكمة الإسلامية في كتب الكندي اختلافاً يدعو إلى العجب ... فإن النديم يقول عن كتاب جغرافية بطليموس إنه نقل للكندي نقلاً رديئاً ... ويقول القفطي إن هذا الكتاب (نقله الكندي إلى العربية نقلاً جيداً) . فأتى تنق أمام هذا التناقض موقعاً لا تدرى وجه الحق فيه .

ويذكر ابن النديم أيضاً أن كتاب « الإلهيات » لأرسطو نقله أسطاط الترجمة للكندي الفيلسوف . فتريدنا شكاً في رسائل الكندي وصحة نقله إياها من اللسان اليوناني ... على أن صديقنا الدكتور الأهواني لا يزال بأمثال هذه الشكوك ويعضى في رسائل الكندي كأن الطريق إليها مأمون العثرات ...

ويطعن بعض الناس عمداً أو خطأ أن الكندي مسيحي مرياني . وقد وقع في هذا الوهم الفيكتور فيليب طرازى في كتابه القيم « عصر السريان الذهبي » . ومن عجب أن هذا الكتاب طبع سنة ١٩٤٦ ، وطبع قبله كتاب للرحوم الشيخ مصطفى عبد الرزاق وفيه نقياسية الكندي وتحقيق لهذه المسألة تحقيقاً لا يدع مجالاً للشك فيها . وأظن أن الكونت طرازى قد وقع له كتاب الشيخ مصطفى عبد الرزاق لأنه يفتخر بمكتبته الماسرة في بيروت فما معنى الإصرار على الأمر بعد تبين الحق فيه ؟ ؟ وقد



جولات في القاهرة

تأليف ر. ل. ريفيس

—•••••

هي العناية الالهية التي أقدت القاهرة من التدمير كما شبت
الفن واحترمت الحروب. فتقامرت دونها قنابل الألمان وماحشدوا
من جيش وعتاد ، ونحطمت قبل أن تصل إليها قوى القوتل
المدمرة الحرة ، وارند عنها الصليبيون في ذلة وانسكار ، وبقيت
القاهرة وحدها تحمل تراث الإسلام الفنى المجيد ، كاملا غير
منقوص ، واحتفظت القاهرة بسلسلة متصلة الحلقات اكل عصور
الأمر الاسلامى الحاكمة ، من يوم أن شاء الله لدينه أن يستقر
على ضفاف النيل ... ومجد هذا التراث فيما ورثناه من عمار
ونحف ومخطوطات ، نظل دائما نذكرنا بجمال الماضى وعظمته
وجلاله ، ونظل دائما نفخرنا على استرجاع مجد أجدادنا ، فتميد
للإسلام قوته وعمره وروعته .

فإن تكن المؤلف قد اختارت القاهرة تجول بين آثارها
الاسلامية شارحة أصولها الفنية في هذا الكتاب ، فقد أحسنت
الاختبار ... وإن يسكن المؤلف في أعناقنا — نحن العرب —
جيلا لفرط غيبتها ونحمة لآثار الإسلام ، أو لأنها اتخذت من
الصحافة منبرا نلقى من فوفه الإرشاد للعناية بآثار الإسلام ،
فدقت المسئولين إلى المحافظة عليها ، فإننا قوم لا ننكر الجيل ..
ولكن الأمر الذى استجفت من أجله عطف جلالة الملك الراحل
ورعاية جلالة الفاروق العظيم ، فأنتم عليها بنشان السكك في
عيدها الثماني ، إنما هو صدقها في دعوتها للآثار الإسلامية ،
زاه وانحما فيما تكتب من مؤلفات أو نلقى من محاضرات ،
صححت بها شعور آلا من الأجانب الذين كانوا لا يدرون عن
القاهرة إلا تلك الأكاذيب المغترعة التى حشرها في أدمغتهم
مترقة الاستعمار ، وكتاب أقاميص الخيال الدني .

وكتاب « جولات في القاهرة » هو دراسة تاريخية وافية

لخلف المائر الإسلامية ، من مساجد وأضرحة ومدارس
وتكايا وقصور ومنازل خاصة ، أو قناطر وأسيلة وأسوار
وبوابات مع للامة طيبة بمحتويات دار الآثار العربية وما
ضمت من تحف نفيسة . وقد اتبعت المؤلف في نبوب كتابها
هذا طريقة الجولات بحيث يستطيع القارى أن يقوم بنفسه بهذه
الجولات وأن يدرس الآثار الإسلامية في القاهرة جملة وتفصيلا
دون أن يصعب عليه الأسرار يصيبه ملل أو كلال .

فيتناول الكتاب أهم الآثار القاعة فيقدم للأر لحة سريعة
عن تاريخ حياة صاحبه ، والأحوال التى بنى فيها الأثر ، والآراء
التي أثبتت حوله ، ويرد عليها ، ثم يدرسه من الناحية المهارية ،
ويشرح الأساليب الفنية التى اتبعت فيه ، والتأثيرات الغربية
التي اقتبسها الفنان المسلم بعد أن صقلها بما يلائم ذوقه وفنه ودينه
وبالرغم من أن الفنان المسلم كان منكرا لذاته ، معبرا بفنه ،
فلم يكن كثير الاهتمام بذكر اسمه على كل المائر التى بناها ،
أو التحف التى صنعها ، إلا أن المؤلف نشاء أن رد إليه حقه
واعتباره الأدبى فتقول : « ويبدو لى أن الفنان المسلم الذى عاش
في تلك الأيام كان عاشقا للجمال لذاته ، بل كان مخمعا في محبته
لنتاجه ، فترى مثلا صانع الفخار المصرى يفرغ غابة الجهد في
العناية (بشايك القل) وهو يعلم تماما أنها خافية محجوبة عن
الناظرين » ...

وترد على الذين يتهمون المسلمين بهدم عمارهم غيرهم ليحصلوا
منها على مواد البناء : « حقا أن المسلمين كانوا يستولون على أعمدة
الكنائس المسيحية والمعابد المصرية القديمة ليستعملوها في
عمارهم ... ولكن مسيحي إيطاليا كانوا أيضا يقيمون نفس
الطريقة ، فدمروا المعابد الرومانية الكلاسيكية ليحصلوا على
أعمدتها » ...

وطالما نقدت احتلال القوات الانجليزية للقلمة واستعمالهم
مسجد الناصر محمد بن قلاوون « في سنة ١٨٨٥ كان هذا المسجد
محولا إلى سجن حربى ، إلا أن أحد الضباط الانجليز زاد الأمر
سوءا فحوله إلى مخزن للذخائر في سنة ١٩١٥ فبات عرضة للنسف
بين لحظة وأخرى فيخفى من عالم الوجود أثر فنى جميل .

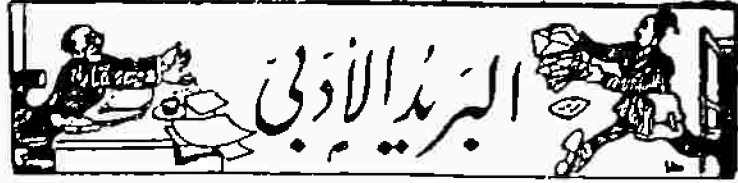
على أن طول الاحتلال للقلمة ترك هذه المنطقة بكرا ، في
حاجة إلى الكشف والتنقيب « فان دراسة الأستاذ كرزويل لم

النسك في صحارى طيبة . وكان رهبان طيبة يشكثون على كسرات الفخار Ostraca ، ثم على الرقوق في عصر متأخر . فكان لرسائلهم تلك فضل الكشف عن طريقة معيشتهم ومشاعلهم والكثير من عادات عصرهم .

وفي ١٩١٤ قدر لمتحف المتروبوليتان للفن بنيويورك أن يكتشف ببلدة القرنة دير إيفانوس . وكان فيما اكتشف كسرات فخار وأوراق بردي تشير إلى دير الأنبا فيبامون . وفي أواخر عام ١٩٤٧ قام الأستاذ شارل بشتلي بالكشف عن هذا الدير .

ودير الأنبا فيبامون من القرن الرابع الميلاد . وهو يقع من الأفعصر على ثمانية عشر كيلو متراً ، في ظل صخرة عمودية تعلو إلى خمسة وعشرين متراً ، وقد طمرت تحت الرمال والأحجار . وقد وجد على الصخرة نقش جنازى يذكر اسم راهب : الأنبا إبراهيم ، واسم الدير ، فقطع الشك باليقين وتوسع في رفع الأنقاض .

وقد اكتشف أولاً مخزن للتبنيذ ، وأكد ذلك تحليل المادة السوداء التي وجدت ببقايا الجرار . ثم الإسطبلات وحظائر



طيبة تكشف عن أسرارها :

ها هي ذى جمعية الآثار القبطية تسجل نصراً جديداً . وهي ، منذ إنشائها عام ١٩٣٤ ، تعمل دائبة حتى نالت تقدير الأوساط العلمية في العالم . وقد استطاعت أخيراً ، بفضل أربحية سيدة مصرية فاضلة ، أن تنشر حفرياتها الأولى . وعهدت بذلك إلى الأستاذ شارل بشتلي سكرتيرها النشط ، والعضو بجمعيات علمية ، مصرية وأجنبية ، عديدة ، والمعروف بأبحاثه القيمة في علم الآثار والأجناس والتاريخ .

والآثار القبطية ، كما نعلم ، حلقة من حلقات الآثار المصرية ، يبدو تاريخ مصر بدونها ناقصاً . ولقد كانت مصر مسرحاً للمسيحية في أول عهدها الخافل بالآلام والاستشهاد . فأنزل

تتمد الأجزاء الشمالية من قلعة صلاح الدين ، أما الأجزاء الجنوبية الغربية من القلعة فقد عثر فيها على طغراء قبطيى وبعض الأيقونة والمقود التي ترجع إلى القرن الرابع عشر مما يثبت لنا وجود عمائر في هذه المنطقة .

وبعد أن أفاضت في شرح نواحي القوة في عظمة الممار الطولونية ، ونخامة المساجد الفاطمية ، وجمال المدارس الأيوبية ، وجلال القباب ورشاقة المآذن المماليكية ، تكلمت عن الفن الإسلامي في مصر إبان الحكم التركي ، وأبانت كيف أن البلاد أصيبت بنكبة فنية قاسية على يد السلطان سليم الأول .

ويحدثنا التاريخ عن أن الأتراك ملؤوا سفائن من النسيهساء ومصمبات الرخام (Marble Panel) وتمحف خشبية منقوشة الخ . . . وحشدوا معها زبدة الفنانين المصريين وأرسلوهم إلى القسطنطينية — وأن واحدة على الأقل من هذه السفائن قد هزقت بما فيها من حل قال نعمين .

وتنفرد دار الآثار العربية بمجموعتها المشهورة من الشكاوات الإسلامية . ونود المؤلف أن توجه نظر القارىء إلى هذه الثروة

الفنية الرائعة وتلج عليه زيارتها والاستمتاع بجمالها . . . والحق الذى لا مرء فيه هو أن القاهرة تفخر بامتلاك كثيرين ثمينين لم تر الدنيا مثلها : هذه المشكاوات ، وكنوز توت عنخ آمون . والكتاب من بواكير إنتاج « دار النشر للجامعات المصرية » أخرجه في ثوب فني قشيب تنافس به كبريات دور النشر الأوروبية وعلى بحوالى ثيف ومائة صورة لمختلف الممار والتحف الإسلامية أكثرها من عمل الأستاذ كريزوبل ، وخريطة مساحية كبيرة مبين عليها مواقع الآثار في مدينة القاهرة ، وقائمة طويلة بأسماء وتواريخ أهم الآثار الإسلامية بالقاهرة مرتبة حسب التدرج الزمني .

والكتاب رغم أنه جامعي في دراساته التاريخية الأثرية ، إلا أنه وضع في أسلوب رشيق جذاب وبطريقة يفيد بها المثقفين عموماً ، والزائرين أصحاب الوقت المحدد ، وعشاق الفنون الإسلامية المشغوفين بها .

مصطفى كامل إبراهيم

(القاهرة)

وكيل اتحاد التعاون الأثرية

هذا الميدان جولة وصوله؛ فهو الذي يفصح عن رأى الشعب ويبين عن شموه، ويفتح العيون الساهية على الواقع المرير، ويمرر بمض الآذان لينتبه أصحابها فيشمروا بشمور الناس ويفسكروا بمقول الأمة ويتقدموا بمزعة الشعوب ...

وها قد شق الأستاذ (الزيات) للأدياء الطريق وضرب أحسن المثل، واستن الأستاذ (نقولا الحداد) هذه السنة الحسنة والأمل أن يسير أدياؤنا في هذا الركب وينهجو هذا النهج . فطوبى لمن حطم السكاس وكسر الدف وودع الحب وهر الروح وتقدم إلى حلبة السكافاح ليذكي النار ويلهب النفوس واهباً قلبه وقلمه (فلسطين) حتى يأتي نصر الله . إلا أن نصر الله قريب .
(فتى الفجاء)

المادى

الإنجازات الريفية في الفلسفة الحديثة :

هذا هو موضوع المحاضرة القيمة التي ألقاها الأستاذ البطاوى في دار جماعة ابن رشد الثقافية في الأسبوع الماضى . وقد استحق الأستاذ منا الإعجاب والتقدير حينما عالج هذا الموضوع رغم خطورته حيث تكلم عن الفوضى الاجتماعية والتضارب الفكرى والذهبي بعد الحرب الثانية ، وحيث تكلم عما يبدو - « بعد اكتشاف السلاح الذرى » وقوف الدول الكبرى صاحبة الأمر والهي عليه ، وعن خشية الإنسانية من الفناء إن هي أقدمت على حرب عالمية أخرى - ما يبدو بعد كل هذا وغيره من بشائر تتجه بالفلسفة الحديثة اتجاهًا شاملاً مريباً نحو الدين لكي تنقذ الإنسانية بوضعها إياها في حماة الأمن ، وخاصة بعد أن تحقق كثير من الباحثين أن الفلسفة المادية تهوى بالمثل العليا إلى الخفض وتدفع بالأمم إلى الأنانية البغيضة والتشاخن الذى يؤدى إلى الحروب والمهلك . على هذا النمط سار الأستاذ في محاضراته مستشهداً بأحدث الآراء في الشرق والغرب للفلاسفة والباحثين في هذا الموضوع مقارنة بينها وبين أقوال القدماء عقب الحرب السبعينية وبعد الحرب العالمية الأولى ليخلص من كل هذا إلى تلك النتيجة الخالدة :

وهي أن « الفلسفة الحديثة بدأت بالفشل تتجه اتجاهًا دينيًا » . إلا أن إعجابنا بمقدرته لا يمكن أن يحملنا على التناخى عن خطأ أو سهو عرض في أثناء الحديث عن « الأنتينية » Dualism وأحب أن يفضل فيحدد موقفه منه على صفحات هذه المجلة الغراء ؛ فإن له من الأهمية والخطورة ما يدركه كل دارس للفلسفة الحديثة

الضأن والأفران والأهراء وملحقات الدبر جميعاً .

واكتشف كذلك موميائون ، ولا شك أن إحداها للأنا إبراهيم ، وهما ملفوفتان في كفن من الكتان وقد حفظتا تحفيطاً كاملاً . ولم يمتز على غيرهما . ولا شك أن الرهبان الآخرين دفنوا في المقبرة القريبة من هذا المكان وقد اكتشفت من عهد قريب . وقد عثر أيضاً على الحلوات والكليسة التي لم يبق منها غير المصاطب ، وكان الرهبان يجلسون عليها وقت القداس ، ثم يمشون صلبان طليت بالأحمر ، وبقايا صورة حائطية ، ونقوش عديدة . ونظام الحلوات على طريقة القديس باخوميوس ، أى خلوات مشتركة ؛ فتتضمن الحجرة سريرين أو ثلاثة أسرة من البنيان . ويظهر بعض الرسوم حالة المسيحيين حينذاك . فيبدو فيها آثار مصر القديمة وذكرى عهد وثنى غير بعيد .

اكتشف علماء الآثار مناطق اعتزال الرهبان فعلاً ، كما أنهم وصلوا بفضل النقوش وغيرها إلى معرفة الكثير من عاداتهم وعادات عصرهم . ولكن دائرة الفكر والمقيدة بقيت مغلقة . فهل قدر لهذا الكشف أن يفتح لنا ما أغلق ؟ إن الأستاذ شارل بشتلي بعد تقريره ليرفقه إلى جمعية الآثار القبطية ، فترجو له التوفيق .

عمرى طاهر نور

فلسطين والأردن :

فلسطين ... اسم إذا ذكر دممت العيون ونحرت الأكباد وانفطرت القلوب ، لا من بنى الصهاينة ووحشيتهم ، ولا من شد أزر الدول الأجنبية لهم ، فلم يجل بخاطر عربى ومسلم يوماً أن يترك الصهاينة عدوانهم وشرهم ، أو يهجر الإنكار خداعهم ومكرهم ، أو يمدل الفرنسيون عن خصومتهم وجنونهم ، أو يمرض الأمريكان عن تألبهم علينا (وحرانهم) . . . ولكن الذى تنقطع النفس عليه حسرات هو هذا الجرد الذى رأت على عقول بعض الكبار فأبلاها ، وتغلغل إلى حبات قلوبهم فأقامها ، حتى غدروا لا يمدون فلسطين في هذه الحقبة المصيبة إلا بخطب وبيانات ووعود ونصريحات ، والشعوب محتاجة ، والأعداء يبطشون ، والدينا ينتظرون ، والتاريخ يرتقب ، ليروا ماذا نحن فاعلون ! فمن واجب الأدياء وقادة الفكر إزاء هذا أن يشمروا هؤلاء بواجبهم وينفضوا بهمهم ويشهدوا من عزائمهم . وللأدب في

من الصمت الذى أراد به أن يلقى الرب في قلب ابنه
كما نمود أن يلقى في قلوب المجرمين :

— لم عدت من القاهرة ؟
— أظنك علمت أن المدرسة أضربت وأغلقت لمدة شهر .

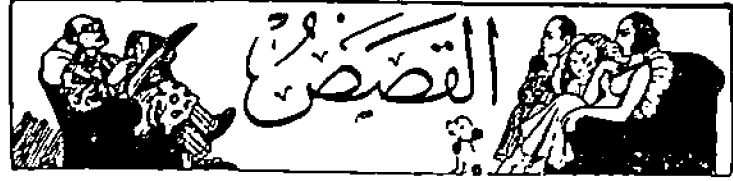
— أظنك ؟
— ألم تعلم يا بابا ؟
— أمكذا يخاطب الولد أباه ؟
— ماذا أقول إذن ؟
— أجبني على سؤال بسؤال ! لقد ساءت أخلاقك كثيراً
في القاهرة !

— يظهر أنك متعب اليوم !
— أفسخ منى يا كلب !
وانتفض الوالد وقد احتقن وجهه وبرزت عيناه ورفع يده
ليهمى بها على وجه ابنه ؟ غير أن الولد قال له : لا تضرب .
وأخذ الرجل وارتقى على مقدمه قائلاً في حشجة تشبه حشجة
المحتضرين .
— ألسنت أباك يا على ؟
— وأنا ألسنت ابنك يا بابا ؟

وكانت الزوجة قد أخذت بهذا التطور السريع في سير
(المركة) فلم تستطع أن تتكلم أو تتحرك أو حتى أن تفكر ،
ولكنها استردت بعض جأشها فقالت لابنها : اخرج يا على .
فخرج يمشى في خطوط عسكرية كأنه طالب في الكلية الحربية
أو في كلية البوليس لا في كلية الزراعة ولكن لا غرو فالولد
مرأيه .

نظرت الزوجة خلسة إلى زوجها فوجدت الدموع تترقق
في عينيه فوضعت وجهها بين يديها وأجهشت بالبكاء ، فمالك الرجل
نفسه بسرعة وقال لها : لا تبكى ولا تحزنى فلا بد من طرده من
البيت . غير أن الزوجة رفعت رأسها بسرعة وقالت له :

— ماذا تقول ؟
— أقول إن هذا الولد يحزننا ويتعدانا ، وسيفسد أخلاق
لبنوته ، وقد حصل على التوجيهية وأصبح قادراً على الاستقلال
بنفسه فليذهب إلى جهنم إذن .
— ألم بكل لك أبوك دراستك ؟



يا حياتى

صورة في أربعة مناظر

للأديب فؤاد السيد خليل

—>>><<<—

المنظر الأول :

جلس الضابط متكئاً على أريكة في منزله ، وقد وضع رجلاه
على رجل متصنعا هيئة الجذ والوقار التي يظهر بها في نقطة البوليس
التي يشرف عليها ، وجلست زوجته بجانبه مطأطئة رأسها تدعو
الله في سرها أن تكون المواقب سلمية . ووقف ابنه أمامه عارى
الرأس واضعاً يديه خلف ظهره وقد التمت عيناه وبدت على وجهه
أمارات هي مزيج من الخوف والتحدى . وقال الوالد بعد فترة

فكنا نعرف أن ديكارت لم يكن « دخيلاً » على « الأنثينية »
كما ذكر المحاضر في كلامه عن الفلسفة في فجر نهضتها الحديثة ؛
بل نعرف أنه كان « أنثينياً » إلى أبعد حدود « الأنثينية » ، وهو
بعد حقاً وليس زعماً كما قال — مؤسس الإنثينية التي تقول بوجود
الروح مع وجود المادة في المصور الحديثة . وما كان هذا ليخفى
على باحث مثل الأستاذ المحاضر يعلم تمام العلم أن جبهة مؤرخى
الفلسفة يعدون ديكارت مؤسس الفلسفة الحديثة ، ويعلم من
كتب ديكارت نفسه — كما ذكر في محاضراته القيمة أنه مؤمن
بالله وبخلود الروح ، أما جهائس الذى أتى عليه الأستاذ
وقدعه على ديكارت ، فإنى لست أعرف له من فضل سوى أنه مذهب
أقوال ديكارت في الأنثينية وعدّها إلى مذهب Occasionalists
أو « الإنثانيين » .

أما أن يكون الدخيل أميلاً والأصيل دخيلاً فهذا أمر لا يستقيم
أبداً ولا يمكن أن ترتاح إليه نفس .

دكتور سمير الناصرى

النظر الثاني :-

- قال حسين بك نظري للحاج عبد العظيم مبروك :
- لا أستطيع تخفيض الإيجار يا حاج عبد العظيم ، إن نفقاتنا كثيرة وستزيد علينا الضرائب .
- كفى الله الشر .
- حضرات موظفي الحكومة لا يكتفون بمرتباتهم ولا يشبعون .
- قد يكونون معذورين يا سمادة البك .
- وماذا تصنع الحكومة ؟ تأخذ من جيوب الناس وتمطيهم ؟
- بل نعطهم من المالية .
- والمالية يا حاج عبد العظيم من جيوبنا .
- الذى أفهمه أن الخدم مكاف بالانفاق على الخادم .
- وهل يجب أن يأكل خادمك اللحم والفاكهة ويلبس الحرير .
- إن خادمنا تأكل مما نأكل وتلبس مما نلبس ، ولذلك فعلى أمينة جداً ، تحافظ لنا على اللقمة وعلى اللب .
- أرسلها لى يا حاج عبد العظيم . إن خادى الاله اللعين سرق من محفظتى خمسين جنياً .
- حاضر .
- حاضر صحيح ، أوفك بحالس ؟
- بإسلام بإسمادة البيك ا والله لو طلبت سمعية بنتى جارية لأرسلتها اليك .
- اشكرك ! وهل هى كبيرة ؟
- أنها فى الجامعة بإسمادة البك .
- الخادم فى الجامعة ؟
- بل سمعية بنتى بإسمادة البك .
- أمى جميلة يا حاج عبد العظيم ؟
- أنها فى نظرى جميلة جداً بإسمادة البك . هذه بعض صور لها عملتها اتصت واحدة منها على البطاقة .
- بطاقة التكوين ؟
- بل بطاقة الدخول فى الكلية بمد الأضراب .
- أكانت مضرية ؟
- كانت الكلية كلها مضرية .
- حتى البنات يضربن ا

- كان أبى يضربنى (بالركوب) فلا أرفع عينى فيه .
- ذلك زمن وهذا زمن .
- فهمت الآن . أنت التى دلالته وأفسدت أخلاقه . أخرجى معه إذن .
- أنا أخرج معه ! أنطردنى !
- يجب أن يكون بيتى مثال النظام والطاعة وحسن الأخلاق .
- وماذا صنع ابنك حتى استحق منك كل هذا ؟
- ألا تعلمين أنه يتفق تلك مرتبنا وحده فى القاهرة على ملذاته ، ولولا الفدانان لمتنا جوعاً .
- أستطيع أنت أن تعيش الآن فى القاهرة بما يعيش به ؟
- كنت أعيش بربع هذا المبلغ . إن ابنك يدخن ويحب أيضاً يا عزيزتى !
- يجب ! يجب من ؟
- يجب طالبة معه فى الكلية .
- لا تصدق هذا الكلام . إنه لا يزال فى الثامنة عشرة .
- ولكنهما هى تزيد على العشرين واسمها سمعية عبد العظيم .
- أهذا صحيح ؟
- نعم . أنا واثق . وهو يذهب إلى بيتها كل يوم بحجة المذاكرة .
- قد يكون هذا السبب صحيحاً .
- أتصدقين هذا الكلام الفارغ !
- ألا يذهب إليها يعلم أهلها !
- لا أدرى !
- أنك تسىء الظن دائماً .
- وفضلاً عن ذلك فهو شيعى !
- من قال لك هذا ؟
- هو نفسه عندما قدم فى أجازة نصف السنة ، كان يلومنى على أننى أؤجر الفدان بأربعين جنياً ويطلب منى أن أؤجره بثلاثين ليستطيع الذى يزرعه أن يأكل مثلاً .
- ليتنا نستطيع ذلك !
- ونحوت جوعاً !
- وهل هذا دليل على أنه شيعى ؟
- كل آرائه ونصرفاته وإخلاقه تدل على أنه شيعى .
- واقسم بالله إن لم يرجع عن غيه لأكون أول المبلغين عنه ...

وأمرت الأم ترف إلى زوجها هذه البشري .
 أما سمعية فكانت تنأجى نفسها قائلة : يريدون أن يبيمونى
 له كأننى سلمة أو جارية أو ما ذنبى أنا إذا كان سى حسين بك
 يظلم أبى فى الإيجار وهو يريد تخفيض الإيجار ، فيطالب من
 الحكومة سن قانون تخفيضه . أما أنا فـأترك لهم منزلهم
 وأعول نفسى وأنعم تعليمى .
 وفى اليوم التالى لم تعد سمعية إلى منزل والديها .

المنظر الرابع :

بعد هذه الحوادث بشهر واحد وفى ضحى أحد الأيام كانت
 الشمس المشرقة الجميلة تشرق فى أنحاء الديار المصرية على المناظر
 الآتية :

١ - الطالب على عبد الحميد يجلس مكتباً فى غرفته وقد
 أمسك بيده ورقة الفصل من الكلاية لعدم تسديد المصروفات .
 ٢ - الضابط عبد الحميد حمدى حزينا فى منزله ويجواره
 زوجته يقرآن خطاباً يخضم خمسة عشر يوماً من مرتبه لاشترائه
 فى إضراب ضباط البوليس .

٣ - الفلاح محروس جاب الله يقف واجماً أمام جوامسته التى
 تباع بأبخس الأثمان اتسديد ما عليه من إيجار القدانين للضابط
 عبد الحميد حمدى .

٤ - زوجة محروس جاب الله تجلس فى غرفة مظلمة حامله بين
 يديها طفلها الذى يئن ويتلوى وهى تظن أن عليه عفريتاً وما به
 إلا الحمى الشوكية اللعينة .

٥ - الآنسة سمعية عبد العظيم مبروك تجلس أمام طفل صغير
 لصدقة لها تعلمه وتتهز فرصة اشتغاله بالكتابة فتخرج من
 حقيبتها صورة للطالب عبد الحميد وتنظر إليها بحب وإشفاق .

٦ - حرم الحاج عبد العظيم فى بيت متواضع مع باقى أطفالها
 تبنى وفى يدها ورقة طلاقها .

٧ - الحاج عبد العظيم يتوجه إلى أحد المحامين الشرعيين رومه
 لإعلان من المحكمة الشرعية .

٨ - حسين بك نفري فى قصره الفاخر وقد أخرج من محفظته
 سورة جميلة للآنسة سمعية .

وكان كل من هؤلاء يتأوه قائلاً : « يا حيانى » .

فؤاد السبير هليل

— انهن يتعلمن من الذكور بإسماءة البك .
 — لعنة الله على الذكور وعلى الأنثى ! (ماعدا سمعية
 طبعاً يا حاج عبد العظيم .
 اشكرك بإسماءة البك .
 — وإكراما لهذه الصورة سأعفيك الآن من تحديد ميعاد
 لدفع التأخر .
 — اشكرك بإسماءة البك !
 — على شرط أن ترسل إلى الخادم الآن .
 — على العين والرأس .

المنظر الثالث :

كانت الآنسة سمعية عبد العظيم مضطجعة على سريرها
 تقرأ فى كتاب (الكيمياء الصناعية) وكانت أمها تقف بجوارها
 تسكاد تطفر الدموع من عينيها وتقول لها :

— ردى على يا سمعية . اسمى كلامى أنا أمك .
 — كلمة واحدة النى أتزوج .
 — أهذا كلام عاقلة ؟ حسين بك الننى العظيم ترفضه فتاة
 فقيرة !

— عجوز وقبيح الشكل والأخلاق !
 — يا ندامة يا بنتى ! الرجل عيبه جيبه . ما له حسين بك
 سيد الرجال !
 — لا أريده .

كونى عاقلة يا سمعية . حسين بك هو الذى يؤجر والدك
 أطيانه ونحن مدينون له بألنى جنينه وقد وعد بالتنازل عنها
 وتخفيض الإيجار أيضاً ، وسيمطيك (شبكة) جميلة ثمينة ولا يطلب
 منا أى جهاز . وهذا كثر يا ابنتى نزل علينا من السماء .

— وكانت سمعية قد عادت إلى القراءة فى كتابها وكأنها
 لم تسمع شيئاً من هذه المحاضرة العلوية المفرية . فاقبست أمها
 وقالت : خلاص ! سأقول لوالدك إنها موافقة .

— من قال ذلك ؟ يستحيل ! يستحيل ! تزوجوه أنتم !
 أما أنا فلا .

وهنا لم تمالك الأم نفسها فأخذت تجهش بالبكاء وتلعلم
 خديها وتقول . يا خسرة التربية ! ستخرين بيتنا يا فاجرة .
 لا كنت ولا كانت أيامك . وكأنما تأثرت ابنتها فاعتدت وقالت
 لأمها بصوت كأنه صادر من القبر . سأعمل ما فيه راحتكم .

